أسمهان

لحنُ لم يكتمل

محمود قاسم



محمود قاسم

أسمهان

لحنٌ لم يكتمل

الكتاب:أسمهان .. لحنٌ لم يكتمل

الكاتب:محمود قاسم

الطبعة: **2017**

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

5 ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : 35825293 – 35867576 – 35867575

فاكس : 35878373

http://www.apatop.comE-mail: news@apatop.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميـع الحقـوق محفوظـة: لا يسـمح بإعـادة إصـدار هـذا الكتـاب أو أي جـزء منـه أوتخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

قاسم، محمود

أسمهان .. لحنٌ لم يكتمل / محمود قاسم

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

.. ص، .. سم.

الترقيم الدولى:**9 – 343 – 446 –977 – 978**

أ – العنوانرقم الإيداع :**8965 / 2017**

أسمهان

لحنٌ لم يكتمل

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

قبل أن تقرأ ..

يحب الناس القصص المليئة بالتناقضات، وقد شغف البشر طوال تواريخهم بمثل هذه الشخصيات، التي خلَّدها عوامل عديدة متراكبة، مثلما حدث مع أسمهان.. سوف تبقى أسمهان لغزًا لن يحل أحد مفرداته أبدًا..

فهي لم تترك وراءها الوثائق التي تفسر كل هذه الحياة المليئة بالتناقضات، وعندما قررت الكتابة حول أسمهان بطلب من الناشر، شعرت أنني داخل غابة مليئة بالمتاهات، والأشجار الشوكية..

أسمهان قبل إعداد هذا الكتاب فنانة، مطربة، ممثلة، شقيقة فنان نحبه كثيرًا، وقد انتقلت إلى بارئها، قبل أن نحل على هذه الدنيا، بخمس سنوات، وكانت نيران رحيلها قد انطفأت إلى حد كبير عندما بدأنا نرتاد قاعات السينما، أو أن نشاهد أفلامها في قاعات السينما التي تعرض الأفلام القديمة عرضًا مستمرًا طوال شهر رمضان.. وعندما صرنا أكبر سنًا، أميل إلى عمل الموسوعات، وإلى تأريخ الأفلام الغنائية، لم تكن أكثر من فنانة عملت في فيلمين، أحدهما لم يشدني كثيرًا لكن ما إن بدأت البحث عن الفنانة، اكتشفت أنها عالم بالغ الاتساع من الصعب استيعابه، أو التوقف عنده، خاصة الدور السياسي، أو الوطني التي لعبته في جبل

الدروز إبان الحرب العالمية الثانية، وهو موضوع معقد للغاية تحس كأنك أمام امرأتين لا علاقة لأحدهما بالأخرى..

ولم أستطع أن استوعب الشخصية الأخرى، وقررت الابتعاد عنه تمامًا، فأسمهان بالنسبة لنا جميعا المطربة – الممثلة – الفنانة، وأيضًا المرأة الجميلة، ويمكن قراءة تواريخ الكثير من الشخصيات الفنية والصحفية إذا قرأت تاريخ حياتها ومسيرتها.

وعندما عُرض مسلسل "أسمهان" قبل سنوات، لم أنتبه إليه، فأنا لا أحب الأعمال الفنية التي يرتدي فيها الممثل قناعًا لشخص آخر، يحاول أن يتخفى وراءه، ولذا فإن وجه سولاف فواخرجي مهما كان جميلًا، ومهما كانت الممثلة متميزة، فإن وجه أسمهان سيبقى حاملًا نفسه في الذاكرة، وشعرت بالامتنان لهذا، لأن الذي أطلت عليّ وأنا أكتب هذه الصفحات هي أسمهان، خاصة أنني كنت أرى صورة وجهها الصبوح وأنا افتح ملفاتي الورقية عنها وعن الذين داروا في فلكها، فاستطعت استجلاب الزمن بأشخاصه وظواهره، أو هكذا تمنيت..

هذا، حديث عن الجانب البارز الذي نحبه من أسمهان، وقد كتب زملاء آخرون عن جوانب أخرى في مراجع عديدة، ولا أعتقد أنني وجدت شخصية فنية تقبل عليها الصحافة الفنية مثل أسمهان، وما أكثر الصحف والمجلات المصرية، والعربية التي أفردت حلقات متعددة للحديث عن أسمهان، ولا شك أنني رجعت إلى الكثير وأنا أكتب عنها،

لكنني في النهاية استطعت أن أصبغ كتابتي بأسلوبي في البحث، كي أجعل بين يديك كتابًا متفردًا.

محمود قاسم

امرأة.. جدلية

تأتي أهمية الكتابة عن أسمهان أنها شخصية جدلية، أثارت دهشة الناس وهي حية، ثم ظلت محل نقاش وتساؤل لسنوات طويلة عقب وفاتها الغامضة، ما جعل أطرافًا كثيرة تتكهن أسباب رحيلها المأساوي، كلٌ حسب ما يراه ويعتقده، ويقدم له التبريرات والتفنيدات، لكن من المؤكد أن السبب الحقيقي لرحيلها لم يتم التوصل إليه حتى الآن، بعد أكثر من سبعين عامًا.

وقد وصلت التكهنات بأسباب رحيلها إلى عدد من الجهات والأسباب، ما لم تصل إليه أي حالات أخرى في التاريخ، خاصة أننا أمام شخصية مركبة، هي أميرة تنتمي إلى أسرة رضخت إلى أوامرها في بعض الوقت، ثم تمردت عليها، ولم تعد إليها، وعملت في الغناء فكانت صدَّاحة بشكل ملحوظة، وجذبتها السينما إليها، لتقدم فيلمين أحدهما كانت بطلته المطلقة، شاهده الناس بعد رحيلها، فصارت مسيرتها المكبرة على الشاشة سببًا لشدة التعاطف معها، ولا تزال هذه المشاعر تنتاب الناس، إذ كيف لصاحبة هذا الوجه البالغ الحسن، وهذا الصوت شديد القوة والانطلاق، صغيرة السن التي لم تقترب بعد من سن الثلاثين، أن تموت في حادث مأساوي مليء بالغموض، كما أن أسمهان قد ارتبطت بصداقات وزيجات بأسماء معروفة في عالم السياسة والفن منهم زوجها وابن عمها الأمير

الدرزي سلطان باشا الأطرش، والمخرج أحمد بدرخان، والصحفي محمد التابعي الذي لم يرع حرمة موهّا وصداقتها القوية به وغلبته حاسته الصحفية فأفشى بالكثير من الأسرار عنها وأسرها في كتاب صار المصدر الأول والأساسي لكل ما كُتب عنها، باعتبار أنه الكاتب الذي كان قريبًا منها، ربما إلى حد العشق، وأنا أقول ربما، لأننا جميعا عداه، لم نعش هذه الأحداث، وإنما ننقل عنه فيما يتعلق بالشؤون الخاصة، طرحه الأسماء الشهيرة التي كانت في حياها: الممثل والمخرج أحمد سالم الذي كان يُعتبر دون جوان عصره، وقد مات أيضًا في سن صغيرة نسبيًا في العقد نفسه الذي رحلت فيه أسمهان، كما أنها قد ارتبطت بعائلة حاكمة في منطقة الدروز التي تقع بين سوريا ولبنان، وهي شقيقة الموسيقار والمطرب فريد الأطرش، الذي صار واحدًا من أربع شخصيات كبار في الموسيقى والغناء، ومنهم أم كلثوم وعبد الوهاب، وربما نجاة الصغيرة، وعبد الحليم حافظ، وهو أيضًا شخصية جدلية، بما حققه للموسيقى العربية الحديثة وأفلامه وحياته الخاصة، والمرض الذي ظل يعاني منه..

كل هذا، وغيره جعل من أسمهان شخصية جدلية، ونحن لم نذكر اسم الملك فاروق الذي يحشره مؤرخو حياة أسمهان، باعتباره الملك ذي النزوات المتعددة، وقد كان مقاربًا في العمر لأسمهان.. يصغرها – وهي المولودة عام **1917**– بثلاث سنوات، وذلك مثلما ربطوا اسم الملك بالكثير من الفنانات، وعليه فإننا نجد أطرافًا عديدة جاء ذكرها في الاتهامات المحاطة بلغز رحيل اسمهان المأساوي، ومن هذه الأطراف ما يلي:

1 – قيل، والعهدة على من حكى، أن أم كلثوم، وكانت آنذاك لا تزال آنسة، قد شعرت بالغيرة مما حققته أسمهان في عالم الطرب، وأنها صارت تهدد عرشها في عالم الغناء، بعد أن اختفت مطربات كثيرات منافسات، ومنهن منيرة المهدية، فصار على الساحة أن تنفرد بواحدة، وأن من استمع إلى أغنيات أسمهان في تلك الفترة يتأكد أنها تهديد واضح لكوكب الشرق، لن أقارن بين الإثنتين، ولكن من استمع إلى أم كلثوم في أغنياتها في فيلم عايدة، أو في لحن "بنات الجامعات"، ويستمع إلى أغنيات فيلم "غرام وانتقام" خاصة أغنية "يا طيور" يعرف إلى أي حد تمتعت المطربتان بمواهب صوتية فريدة لا تتكرر في التاريخ المعاصر، منذ تلك الآونة، حتى الآن، لكن السؤال الذي يحتاج إلى أدلة: هل كانت أم كلثوم قاتلة، تدبر خططًا بوليسية متقنة يكتنفها الغموض الشديد، بحيث لا يتم اكتشاف فاعلها، وتنتهي بأن تنفرد أم كلثوم بعرشها، هل كان هذا الاتهام صحيحًا؟ لا أستطيع الإجابة، لكن هذا الاتهام الخفي المليء بالتلميح، لا يزال يتردد كلما جاء ذكر اسم أسمهان، أو الحديث عن رحيلها الغامض..

2 – قيل أيضًا، والعهدة على من حكى، أن وراء هذا المصرع سبب سياسي، تعدد أصحابها في عالم السياسة، وأن أسمهان كانت تعمل في الأنشطة السياسية وتعاظم المصطلح لدرجة وصفها بالجاسوسة، وأن هذا قد جعل أطراف الصراع يتنافسون للتخلص منها، أثناء الحرب العالمية الثانية، وسوف نخصص لهذا الموضوع بعض الصفحات من كتابنا، فقد قيل أن الاستخبارات البريطانية، كانت عميلًا مزدوجًا لكل من

الاستخبارات الفرنسية والبريطانية، أثناء الحرب العالمية الثانية، ومن خلال علاقاتها المتعددة، خاصة في جبل الدروز، أنها قدمت خدمات كثيرة للجانب الفرنسي، وأنها عملت في الاستخبارات، ووصلت إلى رتبة ضابط، لكثرة ما قدمت من معلومات، وصارت تعرف أكثر مما يجب، فصار عمليًا عليها أن تسكت للأبد، وألا تنطق بأي شيء خاص بما عرفته..

3 – قيل أن الملك فاروق هو أحد الذين سعوا للتخلص من المطربة، وذلك أيضا باعتبار أن الملك الصغير، هو أيضًا رجل مؤامرات يمكنه من خلال مساعديه أن يحبك مؤامرة متقنة، وذلك بهدف تصوير الملك باعتباره قاتل، لأسباب سنذكرها، ومن الواضح أن مصدر هذه الأقاويل قد انتشرت بعد قيام ثورة يوليو، ضمن العديد من التشنيعات ضد أسرة محمد علي باشا، وخاصة حفيده الملك فاروق، لإثبات أن هذا العصر قد امتلأ بالفساد والفحشاء، باعتبار أن فاروق كان يريد الاستحواذ على الأميرة الحسناء، ولا أظن أن الملك الذي كان غير قادر على التخلص من رجال في القصر قاموا بالاستحواذ عليه وامتلاكه، ومنهم أحمد حسنين باشا الذي قام بتربيته، وكان عشيقًا لأمه الملكة نازلي، هذا الملك لم يكن قادرًا أبدًا على أن يحبك أي مؤامرة، ترى هل فعلها مرة أخرى، لا أعتقد، فهو لا يمتلك القدرة على ذلك..

وتقول مصادر أن أسمهان كانت قد عرفت الكثير عن العلاقة بين الملكة نازلي والدة الملك، وأحمد حسنين باشا، وكان من الممكن أن تسبب

لكل من منهما فضائح عديدة لابد من كتم أنفاسها إلى الأبد، لكن ترى هل قامت أسمهان بالتلميح بهذه المعلومات التي توصلت إليها، ولا شك أن هذا مرتبط كثيرًا بدسائس، لا نعتقد أن الأميرة أسمهان بذات علاقة بها..

4 – كما طالت الاتهامات، أو الظنون بالقتل، الأمير حسن الأطرش، الذي كان زوجها الأسبق، وأحبها بجنون، وتركته هاربة عائدة إلى القاهرة، وقد دفعتها غريزة الطموح بقوة للرجوع إلى الغناء، فتمزق قلبه وصار عليه من الصعب أن يستعيدها بأى ثمن، وقام بتطليقها تحت ضغط أسري، وقد دفع هذا الأمير إلى أن يتخلص من زوجته السابقة انتقاما لنفسه، هذا ما ردده البعض وهو يؤكد أن المرأة التي نكتب عنها، هي شخصية جدلية..

5 – كما قيل بأن الذي قام بتدبير هذه الفعلة هو شقيقها الأكبر، الأمير فؤاد الأطرش، الذي كان ضد كل تصرفات أخته، خاصة اتجاهها إلى الغناء، فهو الذي دفعها للعودة إلى الجبل، والاقتران بالأمير حسن الأطرش، ابن عمها، فابتعدت لعدة سنوات عانت خلالها، بشكل شخص، من الحياة في قرية جبلية صغيرة، فاشتاقت إلى المدينة الواسعة بأضوائها، وصخب الحياة فيها، فلما عادت هاربة إلى القاهرة ورجعت إلى الغناء وعملت في التمثيل وأصابتها الشهرة، وارتبط اسمها بشخصيات عديدة من زواج سريع بالمخرج أحمد بدرخان، وعلاقة صداقة، أقرب إلى العاطفة مع الصحفي محمد التابعي، الذي سجل هذه العلاقة في كتاب له،

نشره قبل ذلك عام **1949** في مجلة "آخر ساعة" التي كان يرأس تحريرها، كما ارتبطت أيضًا باسم المخرج أحمد سالم الذي تزوجته، وكان هدفها في كل هذه العلاقات هو الحصول على الإقامة في مصر، حتى لا تعود إلى بلادها، أو الجنسية، وقد كتب أحمد سالم أيضًا عن ذكرياته معها في مجلة "آخر ساعة"، وتحدث بالتفاصيل عن علاقته بزوجته التي ماتت مقتولة، وقد أغضب مثل هذه العلاقات الشقيق فؤاد الأطرش، فقيل أنه دبر لقتلها، ولكن ليس لدى من أشاع هذا الأمر أى دليل على إدانة الأخ، ويؤكد أننا أمام شخصية مثيرة للجدل..

6 – كما قيل أن القاتل، هو الزوج، أحمد سالم، أحد أبرز الشخصيات العامة في تلك الفترة، فهو طيَّار ماهر ومدير عام في ستوديو مصر، كما أنه ممثل، وكاتب سيناريو ومخرج، وكان رجلًا جذابًا للنساء، وتزوَّج من أجمل نساء مصر في تلك الفترة، وهي أمينة البارودي التي صارت صديقة لأسمهان فيما بعد، وكان أحمد سالم قد أطلق النار على أسمهان قبل مصرعها، لكن الرصاصات طاشت بعيدًا عنها، كان الزوج شخصًا تملؤه الغيرة، وتصوَّر أن هناك علاقة ما تربط زوجته مع رئيس الديوان الملكي، أحمد حسنين، وهو أيضا رجل متعدد العلاقات، زئر نساء، وكان عشيقًا للملكة الأم نازلي، لذا راحت الشبهات نحو أحمد سالم، الذي لم يُحاكم بالطبع بجريمة الشروع في قتل، لكن ما فعله كان سببًا في أن تتجه نحوه الشبهات بأنه قتل أسمهان، ما يزيد من جعل المرأة شخصية جدلية.

نحن أمام لغز بشري متحرك، ليس فقط ما يخص مصرعها، بل كما سنرى، ما يخص ميلادها وجوانب عديدة من حياها، ودعوني أعترف أنني لست من راغبي كتابة السير الخاصة بالشخصيات أيا كانوا، ولكنني أميل إلى تناول الأعمال والمسيرة للفنانين، فلا يمكن أن أدعي أنني أعرف الكثير، أو أنني كنت قريبًا من الشخص، خاصة أن قرابة ثمانين عامًا مرت على هذه التواريخ، وأن كل ما نعرفه كان مصدره كتابات لأشخاص كانوا قريبين منها في بعض المراحل، وفي الكثير من المراجع التي وصلت إلينا، وأغلبها من المجلات والصحف، فإن كُتَّابها قد قاموا باستعراض ما كتبه محمد التابعي، واقتباس الكثير من النصوص التي كتبها، ومنها كتابات لكمال النجمي، ومحمود صلاح، ومنهم أيضًا ما كتبه ابن فؤاد الأطرش، الذي أكد حصوله على ما كتبته عمته وأبوه وشخصيات أخرى ووثائق عائلية.

يجب أن نعترف أن ما نكتبه عن أسمهان، مأخوذ من مصادر مكتوبة، وأننا لم نعش هذا العصر، وسوف تبقى المسئولية ملقاة على هذه الكتابات، وكل ما فعلناه أن قمنا باختيار منهج الكتابة، وأن تكون هذه الكتابة ممهورة بالرأي أحيانًا، والصدق، وبأسلوبنا الخاص..

الدروز

ترى من أكسب الآخر الشهرة والتواجد، هل هم طائفة الدروز، أم أشهر أبنائها في القرن العشرين: فريد الأطرش، وأسمهان؟

الإجابة بالنسبة لي، إنه لولا هذين الاسمين، ما سمع أحد، إلا القلة، بهذا الاسم، أسوة بأسماء أخرى في تلك المنطقة، أو غيرها، باعتبار أن هذه الشخصيات الشهيرة هي التي ساعدت على إلقاء الضوء على هذه الطائفة والمذهب الذي تنتمي إليه، وهي التي ذابت في التاريخ بعد سنوات من رحيل أسمهان، وأخيها..

حسب موسوعة الويكيبيديا باللغة العربية، فإن المذهب أو الطائفة التي تنتمي إليها أسمهان، تعرف باسم الدُرزية، أو مذهب التوحيد، هي طائفة دينية، ذات أتباع متواجدين في لبنان وسوريا وفلسطين والأردن، مثلما نقول الأكراد حاليًا، وهذه إضافة من عندياتي، وللدروز أيضا تجمعات في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأمريكا الجنوبية من المهاجرين من الدول المذكورة، وتأتي تسمية الدروز نسبة إلى نشتكين الدروز، الذي يقولون بزندقته، ويعتبرون أن نسبتهم إليه خطأ وأن اسمهم هو الموحدون الدروز، وهم أتباع الحاكم بأمر الله (الفاطمي) كما يقول المصدر أن الدروز يرون أن المسيح هو نبيهم وأساس كل الديانات

والفقرة الموجودة في الموسوعة طويلة، لا نستطيع أن ننقلها كلها، ولكننا نتوقف عند نقاط مهمة فيها، فالموحدون تعني أن عقيدتهم الاساسية هي "توحيد الله" وترى الويكيبديا أن علاقة الدرزية بالإسلام موضع بحث وتشكيك من قبل الباحثين والنقاد، وأن الدرزية تعود أصولها تاريخيًا إلى أصول إسلامية، أما عقائديًا فإن البعض لا يعتبرها من الإسلام، بينما البعض الآخر نظر إليها على أنها أحد المذاهب الإسلامية..

وهناك من اعتبرها ديانة مستقلة، حتى وصل الوضع إلى درجة عالية من الضبابية حتى إلى أعلى المستويات، فبعض المشايخ الدروز يقولون عن أنفسهم ورعاياهم بأنهم مسلمون، وفي سوريا يتعامل الدروز على أنهم مسلمون، أما الأزهر فقد أصدر فتوى تقول بانتماء الدروز إلى الإسلام، في الوقت نفسه فإن هناك الكثير من الفتاوى التي تكفِّر الدروز وتخرجهم من الإسلام..

والدروز كما جاء في المصدر الذي نرجع إليه، يرددون الشهادتين، باسم الله، وأيضًا اسم الرسول (ص) وهم يرجعون إلى القرآن الكريم، ويؤمنون باليوم الآخر، وقد أقر كتاب ومؤرخون معاصرون بهذا الأمر ومنهم الدكتور محمد حسين هيكل، والدكتور عبد الرحمن بدوي..

وللدروز سبع وصايا تتمثل في:

1. صدق اللسان

2. حفظ الإخوان

3. ترك عبادة العدم والبهتان

4. البراءة من الأبالسة والطغيان

5. التوحيد لمولانا في كل عصر وزمان

6. الرضى بفعل مولانا كيف ما كان

7. التسليم لأمر مولانا في السر والحدثان

والدروز يعتبرون بالقرآن الكريم، إلا أنهم يفسرون معانيه تفسيرًا باطنيًا غير المعاني الواضحة في النص.

وقد استطاع نشكتين الدرزي ان يجمع من حوله عددا كبيرًا من الأتباع، لدرجة ان أطلق على نفسه "سيف الإيمان"، وقد أحس بالتعاظم والتفاخر، لدرجة أنه دخل في نزاع مسلح ضد حمزة بن علي ورجاله، ما أدى إلى مصرعه، وفي الويكيبيديا المزيد من التفاصيل، لكنهم لعبوا دورًا في السياسة الحديثة.

في العصر الحديث، وبعد أن قامت فرنسا باحتلال سوريا، فإن الدروز لعبوا دورًا ملحوظًا في إشعال الثورة الفرنسية الكبرى في جبال الدروز، بقيادة سلطان باشا الأطرش والد أسمهان في عام 1925، وهذا سوف يفسر الدور الذي لعبته الابنة فيما بعد، وقيل أنها ماتت قتيلة

بسببه، حيث تقول المصادر أن الدروز سببوا المزيد من الخسائر للفرنسيين في أماكن عديدة وصلت إلى دمشق، ثم إلى لبنان، ورفضوا تشكيل دولة درزية، وكان لهم دور بارز في الاستقلال عن فرنسا وحكومتها..

واستمرت الأمور حتى تم الاستقلال لكل من لبنان وسوريا، وصار على الدروز أن يحملوا الهوية القومية لكل دولة تقع أرضهم في حيازتها: في الأردن ولبنان وسوريا، كما أن الدروز لعبوا دورًا وطنيًا في مجابهة العدو الإسرائيلي، حيث لعبوا دورًا سياسيًا ملحوظًا، فرفض بعضهم قيام إسرائيل واشتركوا في المقاومة، أما البعض الآخر، وبسبب ما عاناه الدروز من اضطهاد، فقد اندمجوا مع الكيان العبري، وأقاموا معهم المعاهدات..

ومن بين أشهر الشخصيات الدُرزية في القرن العشرين الشاعر سميح القاسم والسياسيان: شكيب أرسلاف، وكمال جنبلاط وابنه وليد، وفيصل القاسم، وإلى هذا العالم تنتمي أسمهان وأخواها..

وقد أنشأ الدروز ما يُسمى بدولة جبل الدُروز، من خلال الانتداب الفرنسي على سوريا من عام **1921** إلى عام **1936**، وفي عام **1922**، تم إعلان قيام دولة في تلك المنطقة باسم "دولة السويداء"، وبعد خمسة أعوام أعيد تسميتها باسم دولة جبل الدروز، وفي هذه الفترة من الحكم، فإن هناك حاكم لهذه الدولة، وأطلق على ابنائه بالأمراء والأميرات، وفي هذه المنطقة في عام **1925**، انطلقت الثورة الدرزية

بزعامة سلطان باشا الأطرش، الذي صحب معه فهد الأطرش ليكون أحد رجال هذه الثورة.

وقد جاء في مقال نشره محمود صلاح أنه في عام 1925 اندلعت ثورة الدروز في سوريا ضد الفرنسيين الذين أعلنوا الانتداب على البلاد، وخرَّبوا جبل الدروز وقراهم بالقنابل، وعندما اندلعت ثورة الدروز، رحلت الأم بأبنائها الثلاثة إلى بيروت ومنها إلى القاهرة، لمواجهة ظروف صعبة تختلف تمامًا عن حياة الأمراء التي عاشتها الأسرة في الجبل..

حياة عائلية

نعم، أسمهان شخصية جدلية؛ فالنقاش يدور أيضًا حول اسمها، وتاريخ ميلادها، فهذا الأخير محل شكوك حيث أن بعض المصادر تشير إلى أنها مولودة في عام **1912**، أى أنها عندما رحلت كانت في سن الثانية والثلاثين، وحسب موسوعة ويكيبيديا، ومصادر عديدة، فإنها مولودة في **1917/11/25**،

أي أنها لم تكن قد بلغت السابعة والعشرين عند رحيلها، وقد تعددت تواريخ ميلادها في المواقع والمراجع، حيث ذكر أيضًا أنها من مواليد **14** يوليو عام **1915**، بما يعني أنها رحلت عن عمر يناهز التاسعة والعشرين ما يعني أنها شخصية مثيرة للجدل.

أما اسمها المضاف إليه اسم والدها، فهو إسماعيل الأطرش، فقد تباينت المصادر في كتابته من آمال الأطرش، إلى "أمل"، فترى أيهما أصح، ولا نعرف هل كانت تُنادى من طرف البعض باسم "إيميلي" تبعا لأي من الاسمين.

إذن، فان الجدل يصل إلى الاسم، وتاريخ الميلاد، لكن المؤكد أن أسمهان، مولودة على متن باخرة كانت متجهة من تركيا إلى لبنان تحمل

عائلة الأمير فهد الأطرش، وها هي الأسرة ترزق فوق البحر المتوسط بالابنة التي يأتي ترتيبها الثالث، وقد أراد الأب أن يسمي ابنته "بحرية" تيمنًا بميلادها فوق سطح المتوسط، إلا أن الأم علياء المنذر فضَّلت أن تعطيها اسمًا له معنى هو "أمل".

عاشت الأسرة في جبل الدروز، وشهدت الأحداث السياسية التي فرضت الاحتلال الفرنسى للبلاد، ثم بدء تسمية هذه المنطقة بالدولة، وما تبع ذلك من قيام ثورة الدروز بقيادة حسن الأطرش.. وقد رحل الأب في عام **1924**.

ووسط هذه الأحداث، كان على الأم الأميرة الدرزية اللبنانية التي تنتمي إلى شويت المتن، أن ترحل إلى القاهرة، وقد حكت علياء المنذر عن هذه المرحلة في مذكراتها أنها خشيت على أبنائها الوقوع كرهائن بين أيدى الفرنسيين، لذا اختارت اللجوء إلى مصر، وهكذا تغيَّر الحال، من اليسر الملحوظ، إلى الحاجة والعوز، ففي القاهرة، صار عليها أن تدبر أمور حياتها، هي امرأة صغيرة السن بالغة الجمال، تمتلك صوتًا صداحًا، لكن لديها ثلاثة أبناء ومسئولية، فاضطرت مثل كل أم سورية، إلى أن تدبر أمور حياتها من خلال مهارتها، ورأت أن تقوم بتصنيع "البراقيع" للنساء المصريات، وهي مهنة كانت منتشرة أيضًا في سوريا، فأجادت العمل وبرعت فيه، واستطاعت أن تدبر بعض المال لأسرتها، في الوقت نفسه الذي فتحت فيه باب دارها للفنانين، والشباب من المطربين الجدد، بهدف الغناء.

وصار المغزل قبلة لهواة الطرب والغناء، ووجدت الصغيرة أمل نفسها تغني مثل الآخرين، واستطاعت علياء المنذر بذكائها، وقوة إرادتها أن تتفق مع إحدى شركات الأسطوانات لتسجيل أغنيات يرددها الشباب من الفنانين، ومنها أسطوانات لابنتها أمل، التي كانت تتمتع بصوت عذب ملىء بالشجن والقوة.

ذات مرة، جاء إلى الدار الملحن المعروف داوود حسني الذي تعرفت عليه الأم السيدة عالية في دار صديقة سورية، وطلبت منه الأم الاستماع لأسطوانة سجلت عليها أغنيات بصوت ابنتها أمل التي لم تكن قد تجاوزت سن الثانية عشر، وعندما استمع إلى صوتها انبهر بها، وقرر أن يتبناها، وهو الذي أطلق عليها اسمها الفني: "أسمهان" وقال لها:

– كنت أتعهد تدريب فتاة تشبهك في الجمال والصوت، توفيت قبل أن تنال حظها من الشهرة، لذا أحب أن أدعوك باسمها "أسمهان".

ترى هل كان اسم هذه الفتاة الراحلة هو أسمهان، كما تقول بعض المراجع، أم أنه أيضًا اسم مطربة عربية قديمة ذائعة الشهرة، صوتها كالبللور، وأسمهان، وهو حسب التفسير اللغوي اسم علم مؤنث مركب من "اسم" العربي، ونطقوا معه همزة الوصل على اللفظ العثماني "هان"، ما يعني تداخل النداءات في منطقة الشام.

هنا بدأت مرحلة جديدة في حياة الأسرة، حيث يقف ملحن مرموق وراء نشاطها الجديد، وفيما سبق كانت الأم تكسب من الغناء

مبالغ قليلة، باعتبار أن هذه الأنشطة هي أقرب إلى الهواية، أما داوود حسني فقد أقنع الأم بالسماح لابنتها باحتراف الغناء، وبدا أن موهبة الغناء لم تكن فقط خاصة بالأم الأميرة، ولكنها أيضا تتغلغل في حنجرة الابن الثاني فريد، الذي صار عليه أن يشجع أخته، التي تعاقد داوود حسني باسمها مع إحدى شركات تسجيل الأسطوانات، وصار يدفع لها مكافأة قرشًا واحدًا عن كل مقطع جديد تؤديه.

وصار الملحنون يأتون إلى الدار من أجل تلحين أغنيات جديدة للمطربة الصغيرة أحيانًا، ولأخيها فريد أيضًا، ومنهم سامي الشوا، ثم فريد غصن الذي كان أول من لحَّن أغنيات لفريد الأطرش، بعد أن لحَّن لأسمهان، ومن هذه الأسماء أيضًا محمد القصبجي، وزكريا أحمد، ومدحت عاصم، حيث تدربت أسمهان على الغناء، وفريد على العزف.

في البداية كان التركيز على الأم، السيدة عالية، المرأة البالغة الحسن، صاحبة الصوت الجميل حيث بدأت الأم تغني وتحيي الحفلات الخاصة التي تقيمها العائلات الراقية، كانت المرأة أيضًا تجيد العزف على العود، وذهبت للعزف في بعض المسارح بروض الفرج، وكان ذلك بداية لتحسين ظروف الأسرة، والابتعاد عن المهن الصغيرة التي كانت تمارسها الأم، وقد سمح ذلك للأبناء بالالتحاق بالمدارس وهكذا تغيَّر إيقاع حياة الأسرة.

طفلة في طريقها إلى الشباب والصبا، جميلة ذات صوت صدَّاح، لابد أن يكون الطموح رفيقًا لها، مع أخيها الذي يكبرها مباشرة، إنه توأم روحها وموهبتها، يتعلمان معًا أصول الغناء، ويعرفان طريق الشهرة الصغيرة، فالأم قد تمكنت من تعبئة بعض الأسطوانات.

وتتحرك الأيام بإيقاعها، لم تأت الثروة التي تغيِّر من حياة الأسرة بشكل جذري، ففي عام **1940**، مثلا، وهي الفترة التي غنت فيها أوبريت "مجنون ليلى" بصوتها أمام محمد عبد الوهاب الذي عُرض مع فيلم "يوم سعيد"، وفيه أيضًا بدأت تصوير فيلمها الأول، وحسب ما ورد في كتابات محمد التابعي، كانت دائمًا أنيقة رشيقة نظيفة، ومع ذلك فإنها لم تكن تملك أكثر من ثوبين أو ثلاثة أثواب، بينما كان الحلي الذي تتزين به من زجاج أو حليها الذهبية من نحاس! وهي كانت تحب كل لون، وكل معنى من ألوان ومعاني الجمال: الثوب الجميل والحذاء الجميل، ومعطف الفرو الثمين، والزهور، والعطور.. إلى آخره، ما كان أسهل عليها في تلك الأيام أن تحقق لنفسها ما تشتهي وأن تشبع حبها للترف، ولزينة الدنيا ومتاعها، فكيف رضيت إذن، والكلام للتابعي ولمن نقلوا عنه، بالثوبين أو الثلاثة، وبسوار النحاس وخاتم الزجاج، كانت تحب المال، نعم.. لكي تنفقه، ولكن كبرياءها كانت فوق المال، وقبل المال كانت أسمهان تسير حينًا وتندفع أحيانًا، ولكن دائمًا بحكم العاطفة، كانت هوائية! نعم، كثيرة النزوات سريعة التقلب، ولكن كل هوى وكل نزوة كان مصدرها دائمًا عاطفة ما، أو إحساسًا ما، أما المادة وإغراء المادة فلم يكن لهما عند أسمهان تقدير أو حساب..

دعونا لا نسبق الأحداث، فقد تغيَّر إيقاع الحياة لدى أفراد الأسرة، عندما اتجه الأبناء، ولد وبنت، إلى الغناء، نيابة عن أمهما، التي آثرت الابتعاد شيئًا فشيئًا، وانتقلت الأسرة إلى مسكن مختلف، يقع في شارع حبيب شلبي، شقة تقع في دور علوي تختلف تمامًا عن شقة الدور الأرضي التي تجعل أصحابها يحسون كأنهم في الشارع، ومع تغيُّر الأيام، فإن الابن الأكبر فؤاد، صار يشعر أنه المسئول عن الأسرة، وأنه قدوتها، عليه أن يعمل، وهو الذي لم يلتحق بالمدرسة مثل أخيه وأخته، وساعدته صديقة أمه أن يعمل لدى أحد معارفها في شارع الموسكي، حيث بدأ يتعلم صناعة الأسنان، وأثناء هذه الفترة، كان الدكتور شلبي، صاحب المعمل، يمنحه مبلغ عشرة قروش كل يوم بينما كان زملاؤه في التدريب يدفعون ثمن ساعات التدريب.

عشرة قروش، يا له من مبلغ، جعل الفتى يحس بالمسئولية، فهو يمكنه من شراء ما يحتاجه المنزل، على الأقل لزوم الطعام، وأحس أنه يشارك الأسرة في العمل، ففي تلك الفترة، بدأت الحياة تتشكل في داخل البيت، فريد يعزف على العود، وآمال تميل إلى العزلة وعدم الاختلاط، وقد علَّمتها أمها أن تتعامل مع الآخرين بالأسلوب نفسه الذي يتعاملون به معها، "ليس من طبع الدرزي أن يترك ثأرًا". لكن الفتاة لم تعمل بهذه المقولة، فهي فنانة، خجولة، لكنها في البيت تتصرف على أنها الأم البديلة لأخويها، فهي تقوم بإعداد المشروبات الساخنة في الأوقات المخصصة لذلك، وأحس الاثنان بمدى وفاء الأخت فكان فؤاد يدعوها للذهاب إلى

أحد العروض السينمائية من القروش التي يكسبها، وفي كل مرة كان فريد يذهب، يختار مشاهدة الأفلام الغنائية..

كانت السينما المصرية قد نطقت، منذ عام **1932**، وكان الناس مشدوهين بالأغنيات التسع التي غنَّاها محمد عبد الوهاب لحبيبته في فيلم "الوردة البيضاء" عام **1933**، لذا فإن مشاهدة هذا النوع من الأفلام كان يخلب لب الشاب الصغير وأخته، كان للاثنين المشاعر نفسها نحو الموسيقى والأفلام الغنائية، ومن مناجاة الحلم الأول بأن يكونا من أبطال هذه الأفلام، وقد حدث ذلك فعلا عام **1940** حين استعان بهما المخرج أحمد بدرخان ليقوما معا ببطولة فيلم "انتصار الشباب"، وليستمر فريد في عمل هذه الأفلام ويبدع فيها بقوة..

إنها الموسيقى، ذلك السحر الرائع الذي يتغلغل في النفس والروح، وخاصة أن الغناء بمثابة تجسيد للموسيقى في صياغة المشاعر.. فالموسيقى تغوص في الأعماق الإنسانية، وكثيرًا ما عادت الصغيرة كي تحكي لأمها قصة الفيلم، وروت لها عن البطل أو البطلة، والأغنيات، فالموسيقى في الفيلم تجسد البهجة أو المشاعر بالأسى، فإما أن تضحك أو تبكي، والموسيقى لها التأثير نفسه، سواء كانت في أفلام مصرية، أو أجنبية، وتتأثر الأم بكلمات ابنتها وبما روت، إنها امرأة ترى مستقبل أبنائها أمام عينيها، فتتصرف بكل مهارة من أجل إعلاء شأن الأسرة، فقد خصصت يوم الخميس من كل أسبوع كي يأتي المعارف والصديقات للزيارة ولا شك أن اتساع دائرة الناس تزيد من المكاسب، ويمكن لذلك أن يدفع

الصغيرة للتغيُّر، وأن تبدأ في التخلي عن خجلها، وأن تقدم واجبات الضيافة للحاضرين، والزائرات، وأن تتحادث معهم.. فتتعلم من تجاربها، وتغني لهم إذا طلبوا، أو أن تستمع إلى من يريد الغناء، وتنصت بانتباه..

كان فريد يحضر تلك الجلسات، إنه شخص جاد، طموح بكل قوة، لقد تمكن من العمل مع الإذاعة الحكومية، وساعده ذلك في أن يتحمل المسئولية مع أمه وأخيه، وأحس أنه صار ناضجًا، كما أنه حريص على تلقي العلم، في تلك الأيام بدأت شخصية الابن الأكبر فؤاد تتشكل، فهو يذهب إلى مدرسة فريد للدفاع عنه عندما تم استبعاد اسمه في المدرسة من كشف المتقدمين للشهادة الابتدائية..

إنها مرحلة مبكرة، مليئة بالآمال والأحداث والتغيرات الملحوظة، بدأ فريد بعدها في التفرغ للغناء وكانت الفرصة مواتية له، ولأخته من خلال الأسماء التي ذكرناها، وبدأت شركة الأسطوانات تضع صورة أسمهان، باسمها الجديد على أغلفة منتجاتها، فها هي شركة كولومبيا تكتب على غلاف إحدى الأسطوانات ما يلي:

"النجمة الجديدة بالقطر المصري" أسمهان "وهي المطربة الجديدة التي لم تبلغ من العمر أكثر من **14** سنة"، "وقد حازت من الفن ما لم تحزه كبيرات المطربات"، وهذه وثيقة إعلانية في تلك الفترة جاء فيها "تُعتبر هذه المغنية من أكبر مغنيات هذا العصر لأنها بالرغم من صغر سنها الذي لا يتجاوز **14** أربعة عشر عامًا لا تقل قدرة وكفاءة عن أشهر وأكبر

مطربات اليوم.. والشركة تقدم هذه البلبل الصغير بصفة خاصة إلى الجمهور الكريم".

"أُطلبوا دائما سماع هاتين الأسطوانتين اللتين يندر وجود مثلهما، لكي تتأكدوا بأنفسكم من صدق أقوالنا التي تقل كثيرًا عن الحقيقة..

كانت عبارات شركة كولومبيا في العام الأول من الثلاثينيات، تؤكد أن قدرات أسمهان في الغناء لا تقل عن مثيلتها من المطربات الشهيرات، ولأن أم كلثوم، وربما منيرة المهدية من الجيل الأسبق، كانتا في صدارة الطرب في تلك الآونة، فإن ذلك بمثابة اعتراف من شركة كبرى، لها مكانتها في سوق توزيع الأغنيات، قد اعترفت بمكانة المطربة الشابة الجديدة، وهي تقدم أغنيات لحنها محمد القصبجي، وكتبها يوسف بدروس، الذي كم كتب لها ولأخيها من أغنيات فيما بعد، إنهما اسمان بارزان من بين رجال الموسيقى تأليفًا وتلحينًا في تلك الحقبة وأيضًا في حقبات تالية، كان محمد القصبجي يردد حين تغني الآهات التي اشتهرت بها دومًا أن "هذا صوت من الجنة".

من ناحيتها، كانت الصغيرة لا تطمع أن تكون لها نفس مكانة أم كلثوم في عالم الغناء، وهي التي كان مشدودة دائما إلى صوتها حين تستمع إلى أسطواناتها، حيث جاء في مجلة المصور ضمن حلقات عن أسمهان، أن الفتاة كانت ترى في صوت أم كلثوم واغنياتها دنيا جديدة تفتحت لها أفاقها، فها هي تستطيع أن تطرب، وتستطيع إذا لزم الأمر أن

تغني في لقاء الخميس وتثبت أنها ليست دون أمها في جمال الصوت ولا هي دون فريد.. والأم تنصت لها وهي قريرة العين بالحنجرة التي تشبه البرعم يتفتح ويبشر بخير كثير وتربت خديها وتقول لها:

- بحة الألم في صوتك.. مثل بحة الألم في صوت خالك خليل.. يرحمه الله كان زينة الشباب!.

يعني هذا أن أسرة الأم كان أفرادها يتمتعون بأصوات فاتنة في الغناء، ولا شك أنه لو كان أفراد هذه الأسرة قد عاشوا في زمن الاتصالات، لصار لكل منهم شأن في عالم الغناء، ابتداءً من الخال الذي رحل شابًا، والأم التي تركت هذا الميراث لابنتها، وابنها فريد، أما الابن الأكبر فؤاد، فإنه لم يرث مثل هذه المواهب، بقدر ما ورث طبائع جبل الدروز من خلال الإحساس الزائد عن الحد بقيمة الشرف، وأن على أخته أن تتزوج وتعيش في كنف زوجها، وأن تعود إلى الجبل وأن تعيش هناك، وسوف يكون هذا بمثابة انتكاسة واضحة في حياة المطربة بل ربما في مسيرة الغناء العربي في القرن العشرين، فلا شك أنها سنوات ضائعة لصوت مثل الذي صدحت به أسمهان، وتوقف أثناء الزواج، وسوف نعود إلى هذا الأمر في مرحلة لاحقة..

بدا الشاب فريد كأنه قادم إلى عالم الموسيقى بكل ما هو جديد، متأثرًا بما سمعه من موسيقى غربية جديدة في الأفلام الاستعراضية التي كان يشاهدها في القاعات، خاصة مع أخته، وبدت هويته تتضح في

السهرات التي يجتمع فيها الموسيقيون في البيت، حيث لم تعد بمثابة حفظ ألحان أو ترديدها، وإنما صار فريد يتحدث عن ما يمكن أن يقدمه إلى الأغنية بشكل عام، وكان يرى في صوت أخته "الأمل" في تحقيق هذا الحلم..

كانت أسمهان سعيدة بكل هذه الأجواء التي تحوطها، خاصة باسمها الجديد، وبحماس أخيها، فقد علمت أن المطربة القديمة التي حملت الاسم نفسه، كانت أيضًا فاتنة عصرها وحسناء زمانها، في قرن مضى مع عز العجم، كانت ذات صوت يستوقف الملائكة كما قالوا، ويطلق الدموع، وينشر البهجة، ويأسر القلب، ولذا أحست أنها أحق بالاسم، أو أن هذا الاسم جدير بها.

غنت أسمهان مع أخيها فريد في صالة "ماري منصور"، في شارع عماد الدين في عام **1931**، بعد تجربة كانت لها إلى جانب أمها في حفلات الأفراح، والإذاعة المحلية، وراح نجمها يتألق في سماء القاهرة، وانتقل منها إلى كافة الدول العربية وقال عنها محمد عبد الوهاب وهي في سن السادسة عشرة "أسمهان فتاة صغيرة لكن صوتها صوت امرأة ناضجة"..

أزواج أسمهان

الأمير حسن الأطرش

هو سليل عائلة الأطرش، ابن عم أسمهان، وزوجها الأول مولود عام **1905** في قرية عرى في السويداء، أبوه يحيى الأطرش، وكان من الثوار الذين قاوموا الاحتلال العثماني والفرنسي، اعتقله العثمانيون، وتم نفيه إلى ليبيا ثم لجأ إلى مصر، وتولى الخديو عباس حلمي رعايته، كان زعيم عشيرة الدروز في مكانه.

كما أنه شقيق لزوجة فؤاد الاطرش، في تلك الآونة، ما يعكس رغبة الأخ الأكبر فؤاد لاقتران أخته به، وسفرها إلى جبل الدروز، حدث ذلك في عام **1933** بدافع قوي من فؤاد، وصار عليها أن تنتقل إلى جبل الدروز كي تعيش هناك كأميرة للجبل، بعيدًا عن عالم الغناء، وكي تعيش هناك ست سنوات، أنجبت خلالها ابنتها الوحيدة كاميليا، تقول المراجع أنه في عام **1933**، زار القاهرة الأمير حسن الأطرش، وحين رأى ابنة عمه طلبها للزواج، لكن أمها رفضت متعللة بأعذار متعددة، والسبب الحقيقي ان أسمهان كانت قد صارت مصدرًا للدخل في العائلة، وعاد حسن الأطرش إلى بلاده، وقام بتحريض العائلة ضد أرملة عمه، وتحدَّث أن أسمهان تغني في ملاهي القاهرة.. وقامت الأسرة بالضغط على الأم

التي اشترطت تأمين حياة كريمة رغدة لابنتها، فقام بتسجيل منزل لها بالشهر العقاري في دمشق، إضافة إلى مبلغ **500** جنيها ذهبية.

وتم الزواج وانتقلت أسمهان إلى جبل الدروز، وبرفقتها شقيقها فؤاد، وعادت الفتاة إلى اسمها القديم، الأميرة آمال الأطرش، وتم محو اسمها الفني.

حسب المراجع، فإن عشق أسمهان للإسراف، قد عرَّض زوجها الأمير إلى شفير الإفلاس، وهو الذي تسلَّم وزارة الحربية فيما بعد، لم تكن تطيق الحياة في الجبل، وأيضًا في المكان الواحد، وتعبيرًا عن تمردها فقد طلبت من زوجها أن يبني لها قصرًا آخر غير الذي بناه لها في السويداء، ولم تقم فيه سوى شهرًا واحدًا، وهذا القصر غير ذلك الذي كتب عنه سليم العوزي في مجلة الكواكب الذي بناه لها ثري ألماني يسمى "أبروابريان" في عام **1942**، في منطقة تُسمى بحمدون وهو القصر الذي لم يكتمل قبل وفاة صاحبته.

لقد أحبها زوجها حبًا جمًا، وتمنى أن تعيش معه إلى الأبد، وكلل هذه السعادة إنجابها لابنتها كاميليا، أما هي، فلم تكن على رضا كامل بهذا الإيقاع من الحياة، وكم تمنت الطلاق، فقد كانت تحن كثيرًا إلى الأضواء والحرية، وقد كتبت إلى أمها تطلب منها المشورة، ووجدت نفسها بين موقف محايد من أمها، لكنه ليس رفضًا، وموقف متشدد من أخيها فؤاد، وحالة سلبية من فريد الذي كان منشغلًا بتحقيق حلمه

الفني، وعانت في داخل ذاتها طوال ستة أعوام، وقررت أن تعود إلى مصر، كأنها هاربة من زوجها، وراحت تعبر فلسطين، وعادت إلى أمها، وسرعان ما لحق بها زوجها ومعه ابنتهما، وطلب منها العودة إلى بيت الزوجية، إلا أنها رفضت بكل عناد، وقد حاول فؤاد الضغط عليها واستخدم العديد من وسائل التهديد، منها الضرب المبرح، فحاولت الانتحار أكثر من مرة، وأمام مثل هذه المواقف عاد الزوج إلى جبل الدروز، بعد أن ترك ابنته مع أمها وجدتها..

في القاهرة، بدأت أسمهان تسعى إلى الانطلاق، وتعويض الفرص التي أفلتت منها كأنها طائر استرد جناحيه الضائعين، فأخذ يرفرف بلا توقف، وانطلقت في الوسط الفني تتعرف على أبرز من به من أسماء، وعلى رأسهم الفنان محمد عبد الوهاب الذي استمع إلى صوتها، وقرر الاستعانة بها كي تغني بصوتها في فيلم "يوم سعيد"، الأوبريت الشهير الذي كتبه أحمد شوقي بعنوان "مجنون ليلى"، كما أنها التقت بالاقتصادي محمد طلعت حرب باشا، وصارت تتردد على جلسات السمر التي تتضمن العديد من رجال الدولة والاقتصاد، في الوقت نفسه اتجهت إلى السهر ولعب القمار، وعرفت الخمر، وبدت كأنها توظف جمالها في تعذيب الرجال، لم يكن عليها ان تعرف الحب، بل صارت تلهم الآخرين مشاعر الحب، وتستمتع بعذابات الولهانين بجمالها..

بدت كأنها فهمت طبائع الرجال، وحدود جمالها الصارخ، وموهبتها البرَّاقة، فهي أشبه بمن يرمي طعمًا صغيرًا، نظرة أو ابتسامة، من

أمثال نظرات قوت القلوب، ثم عليها أن تعرف ما تتركه هذه الأمور من آثار في قلوب الولهانين، فلا تقابل أى قبول باهتمام، لكنها تشعر بالسعادة، فهي تسرف في الشراب، وفي آخر الليل تعود إلى مسكنها وقد أفقدها الخمور كل الوعي، وتستقبلها أمها حزينة، لما حدث لابنتها..

وصار على الأمير حسن أن يقوم بتطليق زوجته وأن تمنح بذلك أكبر قدر من الحرية التي تنشدها، وحسب مذكرات التابعي، فإن أسمهان عادت إلى زوجها مرة أخرى لأسباب سياسية، حينما دفعتها الاستخبارات البريطانية للعودة إلى الجبل، بهدف وقوف أهل المنطقة إلى جوار الحلفاء، والوقوف ضد فرنسا التي كانت واقعة في تلك الآونة تحت الاحتلال النازي بزعامة فيش، حيث عادت أسمهان مرة أخرى إلى زوجها عام **1941**، أى بعد انفصالها عن أحمد بدرخان، كانت هناك ضغوط عديدة، تدفع بها إلى العودة مرة أخرى إلى الدروز، لتتصرف كامرأة مختلفة، تتلاعب برجال الاستخبارات الذين يمثلون بريطانيا، وفرنسا المحتلة، وألمانيا.

وقد جاءت أهمية وجود زوجها في حياتها أنه كان بمثابة السند لها، فهي زوجة لأمير، وجواز سفرها دبلوماسي يمنحها الحصانة وما إن تم الطلاق حتى سقطت عنها الحصانة وصدر أمر بخروجها من مصر، وعجز كل من لجأت إليهم عن إبقائها في البلد خاصة أن التابعي كان خارج مصر، وخرجت بالفعل، رحل عام **1977**، ودفن حيث ولد..

أحمد بدرخان

قيل في أسمهان من حيث زيجاتها وعلاقاتها بالرجال، أنها ارتبطت بما كانت تتسم به من تقلب في المزاج، فهذا التقلب جعلها تتزوج وتنفصل عن أزواجها، إما في ظروف عاصفة، أو لفترات سريعة، ويمكن اعتبار أن الحيرة التي أصابت المرأة للحصول على تأشيرة الدخول إلى مصر والبقاء فيها قد لعبت دورًا في هذه الزيجات، فبعد طلاقها من حسن الأطرش، تم سحب الجنسية، وكان بدرخان هو المخرج الأول الذي منحها البطولة السينمائية لأول مرة، في فيلم "انتصار الشباب" الذي عرض عام 1941..

ينتمي بدرخان (1909 – 1969) إلى أسرة جاءت إلى مصر من وسط آسيا، هي كردستان، هذه الأسرة كانت حريصة على تعليم ابنها في مدرسة الفرير، حيث حصل على الشهادتين الابتدائية والثانوية، وشغف بالسينما في سن مبكرة، وتأثر بشكل واضح بالأفلام الأولى التي شاهدها لتشارلي شابلن، الذي ترك أثره فيه، فأراد أن يكون ممثلًا، وقد شاركه زميله جمال مدكور، الذي أصبح مخرجًا أيضًا، هذه الهواية، فكان يذهب معه إلى شارع عماد الدين لحضور عروض المسرحيات، وفي عام 1930 التحق بمعهد التمثيل الذي أنشأه زكي طليمات، والتحق بالجامعة الأمريكية، عقب حصوله على شهادة الكفاءة الفرنسية، وشارك في فرقة التمثيل التي كان يشرف عليها جورج أبيض، فقام بتدريبه، وخارج الجامعة أسس الشاب فرقة مسرحية للهواة تحمل اسم "الطليعة"، وعمل

ممثلًا لبعض الوقت في مسرح رمسيس، وراح يراسل معهد السينما في باريس، والذي كان يستلم منه محاضرات ودراسات سينمائية، استقى منها مقالات كان ينشرها في مجلة "الصباح" التي صار محررها السينمائي، قبل أن تأتيه بعثة لدراسة السينما في باريس عام **1931**، وحصل على دبلوم في الاخراج.

بدرخان بدأ كاتبًا سينمائيًا، لفت أنظار طلعت حرب باشا، وهو الذي عمل في باريس مساعد مخرج، لإميل روزيه في فيلم "ياقوت" الذي صوره نجيب الريحاني في باريس، وهو الذي كان عليه إخراج أول فيلم ينتجه ستوديو مصر "وداد" بطولة أم كلثوم، لكن أحمد سالم، الذي سيكون الزوج الثالث لأسمهان، كان له بالمرصاد وهو الذي كان مديرا لاستوديو مصر في تلك الآونة، فأسند إخراج الفيلم إلى المخرج الألماني فريتز كرامب، إلا أنه فيما بعد، صار على بدرخان أن يخرج كافة الأفلام التي قامت ببطولتها أم كلثوم، في الوقت الذي أخرج محمد كريم، كافة أفلام محمد عبد الوهاب، وبدرخان هو الذي تحمَّس دومًا لتقديم أفلام لفريد الأطرش، بداية من "انتصار الشباب" الذي شاركته البطولة أسمهان، وقد تزوَّج بها أثناء العمل في الفيلم، كما برع في تقديم العديد من الأفلام الغنائية والاستعراضية..

عندما التقى بدرخان بأسمهان، كان متزوجًا من الممثلة روحية خالد، التي شاركت نجيب الريحاني في بطولة فيلم "سلامة في خير" وهي أيضا تلميذة في مدرسة زكي طليمات وقد قامت بدور الفتاة التي يحبها

فريد الأطرش في فيلم "انتصار الشباب"، أي أن علاقة الإعجاب التي قامت بين المخرج والممثلة كان يجب أن تكون بعيدة عن أنظار الزوجة لذا فقد أحيطت زيجة بدرخان بسرية ملحوظة..

بدرخان المخرج، الذي يعمل مع أم كلثوم، بدا مفتونًا أثناء العمل بعيني أسمهان، وقد تفجرت بداخله مشاعر الحب داخل البلاتوه، وهو يركز بالكاميرا على ملامحها الساحرة، وعينيها الجاذبتين، عيون المها، ولنقل عيون قوت القلوب، كانت الممثلة في حاجة إلى رجل من طراز بدرخان، طيب، ومصري، ولا شك أنها بحثت فيه أيضًا عن مصلحتها، بأن تبقى في مصر، وتم الزواج في الخفاء، لكن في عالم السينما لا تستقر الأسرار كثيرًا في مكانها، وما إن عرفت روحية خالد بالأمر حتى تدخلت، وسعت بكل ما لديها كي يتم الانفصال.

تم الزواج بعقد عرفي عند محام معروف، وانتهى بعد أربعين يومًا، ولاشك ان مثل هذه الفترة القصيرة غير كافية لتحصل على حق الإقامة في مصر، ويقال أن أسمهان كانت بالغة السعادة باقترانها ببدرخان، وقد قضيا شهر العسل في الفنادق، إلا أن الملل ما لبث أن أصاب الفنانة المعروفة بحدة عواطفها بين محب وعازف، فدفعها تقلب المزاج إلى الانفصال عن زوجها، ولا شك أنه في مثل هذه الحالات، فإن الأقاويل تزداد، وتتعدد..

الجدير بالذكر أن بدرخان قد طلَّق روحية خالد بعد فترة قصيرة، وتزوَّج من الممثلة سلوى علام التي أنجبت له المخرج علي بدرخان، وأيضًا فتاة تُدعى رُقيَّة، وقد رحلت الزوجة الثالثة عام **1943**، فعاش أعزب باقي سنوات حياته.

كان بدرخان أقرب إلى أن يكون أميرًا، فكأنما أسمهان تزوَّجت أميرًا للمرة الثانية بعد ابن عمها حسن الأطرش، فالأمير مقداد مدحت بدرخان، هو أول من أسس صحيفة كردية في مصر عام **1898** باسم "كردستان"، باللغة الكردية، والتي ظلت تصدر لمدة ثلاث سنوات، في عواصم أخرى منها جينيف ولندن، وهي الجريدة التي ناصرت الشعب الأرميني في قضاياه..

والذي حدث أنه في الليلة الاخيرة من شهر أبريل عام **1940**، عاد إلى المترل، حسب حكاية الزوجة للتابعي، وهو مخمور في الساعة الثانية صباحًا، فنشبت بين الاثنين مشادة عنيفة فقامت إلى الدولاب وأخرجت عقد الزواج العرفي ومزقته، وقالت له: خلاص.. وفي صباح اليوم التالي ذهبت إلى التابعي الذي سعى للصلح بينهما، وانعقد مجلس الصلح في مترل السيدة أمينة البارودي، التي لم تكد تفتح الحديث، حتى قطع بدرخان عليها الحديث، وأبلغها أنه يفهم كل سلوك زوجته، وأنه قد غض البصر عن تصرفاها، وانتهى الأمر.

أحمد سالم

غريبة هي الحياة الخاصة والعاطفية لأسمهان، ما جعل المراجع التي تخص سيرة حياتها مليئة بالتناقضات وعدم التأكيدات، وفيما يخص زواج المخرج والممثل الطيَّار أحمد سالم بأسمهان فإن بعض المصادر تقول أن زواجًا كاد أن يحدث بين الاثنين، وفي مراجع أخرى فإنه يحسب لأسمهان أنها تزوجت خمس مرات، مرتان من ابن عمها حسن الأطرش، ومرتان أخريان من أحمد سالم، ولحسن الحظ فإن لدينا واحد من المقالات الثلاث التي كتبها أحمد سالم عن أسمهان، وذلك من خلال القصاصات التي كنا نجمعها من المجلات القديمة وكانت في الغالب بلا تاريخ، حيث قيل أنها منشورة في مجلة آخر ساعة بعد ثلاث سنوات من رحيل أسمهان، بما يعني عام 1947، أي أن هذه المقالات قد نشرت قبل أن يقوم محمد التابعي بالكتابة عن الشخصية نفسها بعامين على الأقل..

أحمد سالم (1910 – 1949) هو أيضًا شخص مثير للجدل مثل أسمهان، أي أنه عندما التقى الطرفان معًا في علاقة ما عاطفية وزوجية، فكأنما السمات الكبرى المتناهية قد تلاقت: الجمال والوسامة والأناقة وقوة الشخصية، والبراعة في المجال الذي يتقنه كل منهما، هي مطربة، وهو طيار، ثم إداري، وممثل، وقد مات كل منهما ميتة غامضة، مثيرة للجدل أسوة بالحياة التي عاشها كل منهما معًا، كما أن كلا منهما قد مات في سن صغيرة، هي بالطبع أصغر، وهو رحل عام 1949 عن تسعة وثلاثين عامًا، هو مولود في المحافظة التي ماتت فيها الثانية، فهو من مواليد

أبو كبير محافظة الشرقية، كلاهما صاحب روح متحررة، فأحمد سالم الذي سافر إلى بريطانيا لدراسة الهندسة، درس الطيران، وعاد في طائرة يقودها إلى القاهرة عام **1931**، فيما يشبه الاستعراض الكبير، وهي الطائرة التي اشتراها بنفسه واختار أن يقودها ويعود بها إلى بلاده، وهو الذي يعاند القدر، حيث سبق له أن تعرض أكثر من مرة لحادث كاد أن يودي بحياته..

هو رجل يحب الحياة، رغم أن الموت يطارده، مثلما حدث مع أسمهان، التي تعرضت للموت مرة قبل رحيلها، كما أنها تنبأت دومًا، وأحست أنها سوف تموت تلك الميتة المأساوية..

كان متميزًا، وهو دائمًا الأول في مجالاته، ففي الإذاعة المصرية، عمل مديرًا للقسم العربي عام **1932**، وكان أول من نطق جملة "هنا القاهرة" حين افتتاح الإذاعة وقدم العديد من البرامج الجذابة، وفيما بعد عيَّنه طلعت حرب مسئولًا عن بناء إدارة ستوديو مصر، وبنى الاستوديو على أحدث طراز في تلك الآونة، وأثبت تفوقه في كافة المجالات التي عمل بها، ومن بين الأفلام التي أنتجها "وداد" بطولة أم كلثوم، ثم عمل مديرًا لقسم الهندسة لشركات بنك مصر، ومديرًا عامًا لمطبعة مصر..

إنه رجل وسيم، مثقف، مليء بالكفاءات، ولاشك أن وراء كل مهمة من المهام التي قام بها في حياته، مثل إنتاج فيلم "لاشين"، والاستقالات التي تقدم بها احتجاجًا على منع الفيلم لأسباب سياسية، ثم

قام بتكوين شركة إنتاج "نفرتيتي" فاتجه إلى التأليف، والتمثيل والإخراج..

مثل هذا الرجل، لابد أن تتواجد في حياته الكثيرات من مشاهير النساء، فقد تزوَّج من جميلة عصرها "أمينة البارودي"، كما تزوَّج من "خيرية البكري"، وفي حياته أيضا أسماء مثل أسمهان، وتحية كاريوكا، وكاميليا التي اكتشفها إلى السينما، وبالنسبة لأسمهان فلا شك أن المقال النادر الذي نشره في مجلة آخر ساعة يمثل وثيقة مهمة، نقل بعض ما جاء فيها أفضل من التأليف، ولو كان الصحفيون قد عثروا على هذه الوثيقة لنقلوا عنها بنفس الدرجة التي نقلوا عن محمد التابعي.

أهمية هذا النص أنه يؤكد ان أحمد سالم يتمتع بأسلوب بديع، يكاد يشبه أسلوب محمد التابعي، من حيث طول الفقرة، والجملة، والمفردة اللغوية، ورغم أنه ليس من عادتي أن أنقل النص الكامل من النصوص التي أرجع إليها، لكن لابد من إحياء هذا النص المختفي تمامًا في أراشيف المجلات، ولم يفكر أحد في إخراجه في كتاب، مثلما فعل التابعي، ومن الواضح أن ما ننقله هنا هو المقال الثاني من ثلاثة أجزاء، وتم نشره تحت هذا العنوان:

"لقصة أسمهان بقية"

تزوجنا وقررنا أن نهرب إلى أمريكا!

وغادرت الحفلة وأنا أحس أني غريب وحيد في كل فلسطين، واستولى عليَّ هذا الشعور، وامتلأ قلبي فجأة بالحنين إلى الوطن وقلت لنفسي: لتكن هذه آخر ليلة لي في فلسطين.. وصرت استعرض حوادث الليلة، بدايتها الصاخبة، وأحداثها العنيفة، وأخيرًا ختامها السيئ.. وارتميت في فراشي وأنا أقول: ليلة غير موفقة..

وأغمضت عيني وأنا أكمل الهمس لنفسي: يا له من ختام طبيعي لزيارة غير موفقة لفلسطين، واستيقظت في الصباح على صوت التليفون يدق في غرفتي دقًا عنيفًا متواصلًا ونظرت في ساعتي وأنا أمد يدي لتناول سماعة التليفون وكانت الساعة الثامنة صباحًا.. وانساب إليَّ صوت أسمهان، وقلت لها وأنا أطرد النوم من عيني: هكذا في الصباح الباكر.. متى انتهت الحفلة؟

– منذ عدة دقائق!

واستطردت أسمهان: لعلك لم تتضايق من لهجتي أمس؟

وقلت: لقد كان على أنا أن أعتذر لك فلا أظن أني ظهرت بالمظهر اللائق في حفلة كلها أمراء!.. وعلى أي حال فقد حسمت موقفي وقررت أن أنسحب من الميدان...

وردت أسمهان: لقد كنت واثقة أنك ستخطئ في فهم الموقف، ثم بدأت تشرح لي وجهة نظرها.. قالت أن تصرفها السريع كان درءًا لخطر شديد يهدد حياتي، وقالت وهي تضحك:

– لقد أهنت أميرًا تعود أن يهين ولا يهان.. وكان الطبيعي أن يقتلك ولم يكن هناك مفر من أن أشغله.. وكان هذا أيضًا هو ما دفعني إلى عدم التشبث ببقائك لما طلبت الانصراف..

وسكتت أسمهان..

ثم انساب إليَّ صوتها رقيقًا فيه رنة عتاب:

– هل اقتنعت الآن؟

وأحسست أنَّ شيئًا ما في أعماقي قد اقتنع.. وكان هذا الشيء الغامض المجهول في أعماقي يلح عليَّ – أنا أيضًا – أن أقتنع واقتنعت..

وأحست أسمهان بغريزتها المرهفة أنها كسبت المعركة.. وانتهى الحديث وهي تذكرني بموعدنا الليلة على العشاء في كاباريه "الريجانس" في فندق الملك داوود ضيفين على شوقي بك السعد وحرمه..

ويالها من أحداث

وفي الساعة السابعة مساء كنت أخترق بهو الفندق في طريقي إلى الكاباريه حين لمحت أسمهان جالسة مع عدد من أصدقائها اللبنانيين.. وكان عددهم – رجالًا وسيدات – يقرب من عشرة..

واتجهت ناحية أسمهان.. وهمت لملاقاتي وسألتها عن السهرة فقالت:

– اسبقني إلى هناك وانتظرني وسألحق بك..

ثم أردفت: إنهم أيضًا هناك..

ورددت عليها بطريقة شبه آلية: "طيب يا روحي"..

قلتها وأنا لا أعني من ورائها شيئًا، ولكنها كلمة دارجة على لساني، وما خطر ببالي لحظة ان هذه الكلمة الصغيرة ستكون مفتاحًا لما تلاها من أحداث.. ويا لها من أحداث!

تسلية لذيذة

ولم تلبث أسمهان أن لحقت بنا في "الريجانس" وقالت للحاضرين – قبل أن تجلس – أنها تريد أن تستشهد بهم في مشكلة خطيرة سببها لها "الأستاذ" وأشارت إليَّ، ودهشت ونظرت إليها مستطلعًا.

وجلست أسمهان وهي تكمل باقي القصة، قالت أنني وجهت إليها الخطاب أمام عشرة من مواطنيها بكلمة "يا روحي".. وقالت إنني سببت

لها بهذه الكلمة إحراجًا أمامهم ولم تجد ما ترد به على نظراتهم المتسائلة إلا أن تقول أنني خطيبها!

وضحكت أسمهان وقالت: والآن إمَّا أن تصحح مركزي على هذا الوضع وإمَّا أن ترسل لي شهودك للمبارزة صباح الغد!

وقلت لها وأنا أسايرها في لهجتها المرحة: لو كنت أتقن المبارزة لاخترتها ولكني مضطر إلى قبول الحل الأول!

ورفع أصدقاؤنا كؤوسهم يشربون نخب "خطبتنا"!!

ولم يخطر في بال أحد منا – أنا أو هي أو أصدقائنا – أن الأمر جد وحقيقي وانما نظرنا إليه جميعًا على أنه تسلية لتمضية السهرة.. تسلية لذيذة..

واستمرت "التسلية" طول السهرة، وكانت تجلس معنا ملكة جمال الإسكندرية في ذلك الوقت، وقمت لأرقص معها ولم تنس قبل أن تنهض معي أن تستأذن من "خطيبتي" لتسمح لها بذلك!

أضواء الفجر

وانتهت السهرة في هذا الجو المرح ولكن أسمهان اقترحت أن نركب السيارات إلى "البحر الميت" وقالت وهي تضحك في جذل: إن الناس لا يتركون ضوء القمر وينامون.

وعدنا من رحلة "البحر الميت" قرب الصباح، وأوصلتها إلى جناحها الملكي في الفندق، ووجدتني أدخل وراءها الصالون بحركة آلية واتجهنا ناحية "النافذة" التي كنا نقف إلى جوارها دائمًا في الليالي السابقة..

وسرحت أبصارنا على القدس الجميلة وقد لفتها غلالة فاتنة من أضواء الفجر.. وساد بيننا الصمت، ولكنني أحسست أننا نتخاطب بلغة مجهولة.. لغة ليس فيها كلمات ولا حروف ولا أصوات وإنما فيها مشاعر وأحاسيس وعواطف مبهمة غامضة..

وقطعت أسمهان الصمت.. تنهدت من أعماقها وقالت وفي صوتها أسى حالم: لماذا يطلع الصبح.. إن ضوء النهار دائمًا يبدد أحلام الليل ويطاردها.. وسكتت لحظة ثم استطردت تقول في حماسة: لماذا لا تكون الحياة كلها حلمًا.. ولماذا يصدمنا الواقع بمرارته.. لقد كانت ليلتنا حلمًا.. فلماذا لم تكن حقيقة...؟

وسكتت مرة ثانية وعادت – وكان صوتها جميلًا كندى الصباح – تقول:

– لو كان هذا هو الواقع.. وكنا نعيش فيه؟

وتشابكت أيدينا في حركة لا إرادية.. وتابعت كلامها:

– ولم لا.. ويطلع علينا الصباح ونحن متزوجان ونهاجر إلى بلد حر كأمريكا ونشارك أهلها في سعادتهم... إننا – كلانا – شركاء في التعاسة.. فلماذا لا نبدأ معًا عهدًا جديدًا...

ولست أذكر ماذا قلت لها. ولا أظنني رددت عليها بالألفاظ... ولكن حالة تشبه التنويم المغناطيسي سيطرت علينا ودفعت كلينا إلى صاحبه واشتركنا في قبلة أذكر أننا تعاهدنا بعدها على الزواج... وعدت إلى غرفتي..

لم يكن حلمًا!

واستيقظت قرب الظهر وكنت أفكر وأنا أرتدي ملابسي في الليلة الماضية وقابلتها وأنا أظن أن ضوء الشمس – والفرق بينه وبين أضواء الفجر كبير – ربما غير من أحلام الصبح!

ولكني وجدت "أسمهان" ما زالت على عزمها فقد سألتني – وكانت هذه من عاداتها المعروفة – قائلة:

– رد بسرعة من غير ما تفكر

وضحكت وقلت: من غير ما أفكر..

واستأنفت سؤالها: كان حلم.. وإلا ما كانش!

وقلت لها وأنا لا أزال أضحك:

– ما كانش!

ثم قلت لها: إذا كنت ما زلت عند رأيك فأنا لم أتغير..

وقالت أسمهان: ولا أنا تغيرت

ثم روت لي أنها سألت خمسة من أصدقائنا بينهم "شوقي بك السعد" والسيدة "شفيقة النشاشيبي" – سألتهم بنفس الطريقة: رد بسرعة من غير ما تفكر..

وكان السؤال: ما رأيهم لو تزوجتني..

وقالت أسمهان: ووافقوا جميعًا..

ووجدنا نفسينا منهمكين في إجراءات الزواج.. وقصدنا إلى منزل السيدة شفيقة النشاشيبي – وكنا قررنا أن نعقد فيه الزواج..

وبدأنا نواجه سلسلة من العراقيل!

بداية العراقيل

طلب المأذون أولا وثيقة طلاق أسمهان من زوجها الأمير حسن الأطرش، ولكن مثل هذه الوثائق لا وجود لها في شرع جبل الدروز..

وقالت أسمهان أن هناك خطابًا بخط الأمير فيه اعتراف وإقرار بالطلاق ولكن هذا الخطاب مع شقيقها فؤاد الأطرش.. في القاهرة..

وأخيرا قدمنا طلبا لقاضي قضاة القدس معززًا بعدة نسخ من مجلات سورية ولبنانية نشرت خبر الطلاق.. وأتينا مع هذا باثنين من الشهود قررا أنهما تأكدا من الطلاق..

شهر العسل ينتهي

وفي اليوم التالي سافرنا إلى "طبريا" لنقضي شهر العسل على شواطئ البحيرة الجميلة..

ومضت عدة أيام كأنها ليست رحلتنا التي ما عرفت إلا الشقاء والقلق والضنى..

كانت أيامنا هانئة كالأحلام وليالينا سعيدة كالنجوى وأحس كل منا أنه يستطيع أن يستند برأسه المتعب إلى صدر زميله ينشد العزاء والسلوى ويتطلع إلى الغد بأمل وثقة..

وفجأة.. ذات صباح – دق التليفون في غرفتنا وكان المتكلم صديقنا شوقي بك السعد.. وقال لي شوقي بك: إن الحوادث في القدس تتطور بشكل يستدعي عودتنا إليها..

وسألت شوقي بك مزيدًا من التفاصيل فروى لي أنه قابل – أمس – الأستاذ محمود فوزي بك – قنصل مصر العام في القدس وقتها – ومندوب مصر في مجلس الأمن الآن – فسأله عن صحة خبر زواجنا فأكده له، وقال له فوزي بك أن له على ما حدث اعتراضين:

أولهما اعتراض أدبي فقد كان يجب أن يبلغ بهذا الزواج..

والثاني اعتراض رسمي وهو أن هذا الزواج كان يجب أن يعقد عن طريق القنصلية وإلا فإنه يكون غير قانوني من وجهة النظر الرسمية المصرية..

واذكر أنني قلت لشوقي بك في التليفون: "بسيطة".

وقررنا أن نعود غدًا إلى القدس وقابلت فوزي بك في القنصلية المصرية بحي القطامون في القدس واعتذرت له عن تقصيري وقلت له أن سببه واحد: هو جهلي بالرسميات..

وسألته عما ينبغي أن أفعله الآن وقال أنه يتعين على أن أكتب طلبًا للقنصلية لتوافق على هذا الزواج وأن القنصلية سترسل الطلب إلى وزارة الداخلية في القاهرة لتصدق عليه..

ونفذت تعليمات فوزي بك وكتبت الطلب وقدمته له.. ولم يبق إلا أن أنتظر..

وكان الخبر قد بدأ ينتشر ووصلت إلينا في القدس مجموعة من الصحف المصرية وإذا نحن نطالع فيها أنباء الهياج في مصر على أسمهان وعليّ، وكان خبر الزواج قد أحدث فيها ضجة كبرى..

وأحسست بالمرارة وأنا أناول هذه الصحف لأسمهان ثم أحاول أن أهدئ من روعها وأنا نفسي نهب موزع بين مشاعر متباينة.. وبدأ القدر يدفع الأحداث بسرعة مخيفة...

ظهرت في القدس فجأة وجوه تعرفها أسمهان.. تعرفها من الجبل.. وكانت أسمهان تمسك بيدي في خوف وتهمس في أذني بصوت مرتعش: هذا فلان!

وتسكت ثم تقول: لقد قتل عشرة!

وكان هناك كثيرون من هذا النوع تتراوح مؤهلاتهم بين قتل عشرة وعشرين!

وبدأ ضغط سوريا يزداد بصورة جلية واضحًا، كما تسلّمت أسمهان ذات صباح إخطارًا من إدارة الأمن العام في القدس تنذرها بأن إقامتها في فلسطين قد انتهت وتطلب إليها مغادرة البلاد في ظرف أسبوع واحد..

وأحسست أننا فأران حاصرهما قطيع من القطط!

نغادر فلسطين في ظرف أسبوع وإلى أين؟

مصر؟.. إن الموافقة على الزواج لم تأت بعد ومعنى هذا أن أسمهان لا تستطيع الدخول.. وسوريا...؟ كانت سوريا الخطر الأكبر بأن نجتاز حدودها حتى تختفي أسمهان فقد كان هناك مبلغ كبير موضوع على رأسها! وشرق الأردن؟... وأبعدت هذا الخاطر من ذهني وأنا أستعرض الود المشهور بين الملك عبد الله وبين جبل الدروز!

حصار كامل مخيف..

السفر إلى مصر

واستعرضنا الموقف في الليل.. وقلنا لا أمل إلا في مصر.. وعدت إلى القنصلية المصرية في الصباح أسأل: أما من خبر من القاهرة، وعرفت أن وزارة الداخلية أرسلت برقية مستعجلة تطلب تفصيلات ووثائق عن هذا الزواج وأكثر من هذا تستهجن في هذه البرقية تصرف قاضي قضاة القدس الذي أقدم على عقد الزواج!!

وأحسست أن الأمور في مصر تسير على غير ما نشتهي.. وأن الرياح تهب من الناحية الأخرى وقررت أن أطير بنفسي إلى القاهرة أتعجل الموافقة وأسعى بمعونة "ستوديو مصر" الذي كان مهتمًا بادخال

أسمهان إلى مصر لكي تنفذ عقدًا على فيلم اتفقت على الظهور فيه لحسابه، وكان "الأستوديو" قد دفع ألفي جنيهًا مقدمًا لأسمهان وكان يهمه بالطبع أن لا يضيِّع عليه المبلغ.. ووافقت أسمهان على خطتي وتركتها في حماية كلبها "بنجي" وطرت إلى القاهرة..

تيارات في الخفاء

وخرجت من المطار إلى ستوديو مصر رأسًا وشرحت الموقف لمديره حسني نجيب بك.. ونظر حسني في ساعته وقال: هيا بنا لمقابلة محمود غزالي بك – مدير الأمن العام وقتها – وبدأ غزالي بك حديثه معي بمحاضرة عن الدستور..

قال أن الدستور ينص على أن كل أجنبية تكتسب الجنسية المصرية إذا تزوَّجت من مصري وأن هذا النص لم يعدل إلا بأمر إداري صدر "للمأذونين" بأن لا يعقدوا زواجًا من هذا النوع إلا بعد الرجوع لوزارة الداخلية..

وقال "غزالي بك" بعد هذه المحاضرة: والآن لو صرحنا لأسمهان بدخول مصر فإنها تكتسب الجنسية المصرية على الفور وهو أمر لم يتقرر بعد..

وقلت له: وما الحل؟

ونظر غزالي بك في سقف غرفته وقال: تطلقها!

وهتفت في شبه استنكار:

– أطلقها؟!

وقال غزالي بك: نعم.. أننا نستطيع أن نصرح لها بدخول مصر ما لم يترتب على هذا اكتساها للجنسية المصرية.. أي أن هذا لن يتم ما دامت زوجتك..

وبدأت أقلب المسألة في رأسي.. ماذا أصنع وكيف أتصرف؟!

وكان للمشكلة وجهان.. أن أطلّق أسمهان فيسمح لها بدخول مصر..

أو أرفض الطلاق فلا تدخل.. وعليها أن تغادر فلسطين بعد ثلاثة أيام!

وتغادرها إلى أين! لم أكن أدري.. وكيف والحصار محكم من كل ناحية حولنا..

وعاودني شعور الفأر المحاصر بين قطيع من القطط.. ووجدتني بلا تردد أقول لغزالي بك: إني على استعداد للطلاق..

وطلب مني أن أنزل على الفور إلى أقرب مأذون وأعود إليه وفي يدي وثيقة الطلاق..

طلاق غرامي

وكان أقرب مأذون إليّ.. مأذون عابدين، ولكن مشكلة مهمة أوقفت الإجراء..

قال المأذون أنه لا يستطيع أن يجري الطلاق ما لم تكن تحت يده وثيقة زواج مصرية أو مصدق عليها من الجهات الرسمية المصرية.. وعدت لغزالي بك أطلب منه التصديق على وثيقة الزواج ليستطيع المأذون إجراء الطلاق فرفض غزالي بك وقال أنه سيجرب محاولة أخرى.. وأمسك بتليفونه فاتصل بوزارة العدل..

وأخيرا انتهى من محادثته فالتفت إليَّ وقال: إن قاضي محكمة السيدة زينب الشرعية سوف يحكم لك بالطلاق من الوثيقة الفلسطينية..

وأبرقت إلى أسمهان أشرح لها الموقف وكان نص البرقية كما يلي:

الأميرة آمال الأطرش

فندق الملك داوود القدس

خشيت الداخلية عدم إمكاني إخراجك في نهاية الثمانية أشهر فطلبت مني الطلاق أمام المحكمة فقبلت وتحدد له الساعة التاسعة صباح السبت – بعد باكر – ولم يبق للداخلية طلبات جديدة مطلقًا بل سيصدر التلغراف بالتأشيرة بمجرد استلام ورقة الطلاق.. على كل حال أنت لا تحبين سفر يوم الجمعة.. كل تضحية في سبيل إنهاء مسألتك ستعمل.. لك حبي..

أحمد سالم

وفي صباح السبت تلقيت من أسمهان البرقية التالية:

"أحمد سالم – **45** شارع سليمان باشا – القاهرة".

لم يصلني تغيير في الحالة – في شدة القلق – ومشتاقة إليك جدًا – حبي إليك –

آمال الأطرش

وتم الطلاق في نفس اليوم.. وذهبت فورًا إلى مكتب غزالي بك وحالما تسلم وثيقة الطلاق أصدر أمره بإرسال برقية لأسمهان تحمل لها الإذن بدخول مصر.

وخرجت أنا أيضًا.. فأرسلت لها برقية كان نصها:

الأميرة آمال الأطرش – فندق الملك داوود – القدس – مبروك – مبروك – مبروك – تجدين تلغراف الوزارة في القنصلية هذه الساعة

أحمد سالم

ثم تلقيت منها أخيرًا برقية تخبرني أن قطارها سيصل إلى القنطرة في الساعة الرابعة صباحًا وتطلب مني أن أنتظرها هناك.

ماري على المسرح

ودق جرس التليفون في بيتي، وكانت المتكلمة ماري قلادة – التي شاركت أسمهان فيما بعد في مصيرها المحزن – والتي كانت تحبها حبًا يصل إلى حد التفاني والعبادة، ولم أكن قد لقيت "ماري" أبدًا.. وفوجئت بها وهي تطلب أن تقابلني لترى كيف يبدو زوج أعز مخلوقة في الدنيا عليها.. وأحسست أنني مقبل على امتحان جديد..

وكان موعدي مع ماري في شرفة "الكونتيننتال" ووصفت لي نفسها وملابسها وبالفعل تم اللقاء.. وشرحت لماري كل الظروف.. وبدا لي أنني نجحت أمامها في الامتحان..

وقالت لي ماري أنها تلقت برقية أسمهان بأن تتصل بي وتجيء إلى القنطرة لملاقاتها..

قررت وكان لا يزال على موعد القطار وقت طويل، فقد كانت الساعة السابعة مساءً والقطار يصل إلى القنطرة في الرابعة صباحًا وليس في القنطرة فنادق نقضي في أحدها الليل..

وخرجنا نتسكع في الطرقات ثم ذهبنا إلى السينما فشاهدنا فيلم "ليلى في الظلام" وخرجنا من السينما فغادرنا القاهرة إلى القنطرة، وكان الليل هادئًا، والسيارة منطلقة بأقصى سرعتها على الطريق الجميل إلى الإسماعيلية والقنطرة.. وكان حديثنا كله عن أسمهان.

قالت لى ماري: ما هو قرارك؟

وقلت لها: ليس لي حق الخيار لقد ظهر لي أن كل الذين يستطيعون مساعدة "أسمهان" لن يفعلوا ذلك ما دامت زوجتي، وإني لهذا السبب قررت أن أبتعد عن حياتها.. وأن عودتنا من القنطرة مما ستكون آخر شيء في علاقتنا.. وبدا لي أن ماري كانت من نفس الرأي وقالت لي أن معلوماتها الخاصة وتحرياتها قادتها إلى هذه النتيجة وأنها كانت تريد أن تصارحني بها لولا أنها خافت أن تصدمني في مشاعري فآثرت السكوت..

ومدت ماري يدها في الظلام تبحث عن يدي.. وصافحتني وهي تقول:

– سوف نصبح أصدقاء!

ووصلنا إلى القنطرة.. ووصل قطار أسمهان.

وركبت إلى جانبي في السيارة، وجلست ماري في المقعد الخلفي، وانطلقا عائدين إلى القاهرة.. وكان الفجر رائعًا.. ولكن ما كان أعجب جماله في ظلال هذه المأساة! وروت لي أسمهان ما لقيته في الأيام الثلاثة التي عاشتها من غيري في القدس وكانت أيامًا عاصفة مضنية! ثم بدأنا نتكلم في صميم المأساة وشرحت لها ما استقر عليه عزمي وظلت تسمعني حتى فرغت وإذا هي تنفجر غاضبة.. ودموعها تسبق ألفاظها.

قالت لي أسمهان: هل زهدت في الكفاح من أجلي؟ وهل تريد أن تتخلى عني؟ وهل وجدت في هذه الظروف فرصة لتصحح خطأ ارتكبته بزواجك مني، وورطة وقعت فيها..

ومضت أسمهان في ثورها على هذا النحو..

وقلت لها وأنا أحاول أن أسكن روعها: "ولكني ما فعلت هذا إلا ومصلحتك أنت فوق أي اعتبار.."

وقالت أسمهان وهي تنشج: أنت تعلم أن مصلحتي معك..

ثم أخذت والدموع ما زالت تبلل أهدابها تذكرني بأحلامنا.. وتقول: هل نسيت؟

ثم مضت في كلامها: لقد حققنا جزءًا صغيرًا من الحلم وما زال أمامنا أن نكافح لتحقيق بقيته.. لقد شعرت ونحن في طبريا – الأيام القليلة التي عشناها معًا على شاطئ البحيرة الجميلة – باستقرار لم أشعر به في حياتي فلماذا تريد أن تحرمني الآن منه.. ومدت يدها فأدارت وجهي نحوها ونظرت في عيني وهي تقول:

– هل تريد أن أعود وحيدة شريدة من جديد؟

والتصقت بي وهي تمد يدها فتتعلق بذراعي وتعانقها بكلتا يديها الاثنتين وتقول:

- سوف نبقى معًا.. برغم كل شيء.. وسوف يبقى زواجنا، وتنحنحت.. فقد كنت أريد أن أشهد ماري أنني غير مسئول عما حدث، وإنني أطالبها بالتدخل لو كانت تستطيع وتنهدت في صوت مسموع وعرفت أنها فهمت الإشارة السرية!

وكانت السيارة قد وصلت إلى حدود القاهرة..

وقالت لي أسمهان: إلى أين؟

وقلت: إلى الفندق.. إلى الكونتننتال!

وقالت: لا...

قلت: إذن إلى أين..

قالت: إلى كنيسة سانت تريز ثم مسجد السيدة زينب ثم كنيسة مارجرجس! وحملقت فيها بدهشة وأردفت هي:

– إنه نذر قديم..

وعُدنا أخيرًا إلى فندق الكونتيننتال.. وارتمت أسمهان على شيزلونج في غرفة النوم.. وتنهدت وهي تتثاءب: أظن أن المسائل ستسير كما نريد بعد أن وفَّيت بهذه النذور.. ولم تكد تفرغ من جملتها حتى طرق الباب وقلت أنا بصوت عال:

– أدخل....

واعتدلت اسمهان.. وفُتح الباب.. ودخل محمود غزالي بك مدير الأمن العام – وقتها –!!

لقد التقت أسمهان بأحمد سالم أثناء عملها في فيلم "انتصار الشباب"، حيث كان يحضر أحيانًا للمساعدة في إذاعة الفيلم، وتكوَّنت صداقة عادية دون أن يكون هناك أي بوادر لعمل علاقة، ربما لأنها في هذه الفترة كانت منشغلة ببدرخان، وهو بتحية كاريوكا، التي ذهب فيها إلى مدينة القدس ومعه تحية كاريوكا لأداء بعض الأعمال، وفي فندق الملك داوود كان اللقاء والتقارب، وحدث الزواج السريع الذي تكلم عنه، وقد حدث زواج سريع لمدة أسبوعين، وأقاما في الفندق، إلى أن وصلها خطاب بالحضور إلى القاهرة، لتنفيذ عقد تمثيل وقعته مع شركة

مصر للتمثيل والسينما، ورغم قصر هذه المدة فإن أحمد سالم بدا شديد الغيرة عليها، مما أحسسها بالاختناق، وراحت تعد العدة للانفصال عنه، من خلال خطة طلبت من كاريوكا أن تنفذها، كي يشب بينهما الخلاف، وتقول المصادر أنه حاول الانتحار مرتين، وتم إنقاذه في المرتين، وقد أطلق الرصاص عليها من مسدسه إلا أن الرصاصة قد طاشت، ولاذت بالفرار، فاستدعى الشرطة وأثناء الشجار أطلق الرصاص من مسدسه على ضابط الشرطة، وقام هذا الأخير بمبادلته برصاصة، وصار الأمر حديث الصحافة، حيث تمت محاكمته عقب شفائه، وقد ذكرت المراجع أن أحمد سالم ظل يعالج من الرصاصة، طوال خمس سنوات، كان يعمل خلالها بلا توقف، وقدم أفلامه كممثل ومنتج ومخرج، ومنها "رجل الست حيل" و"الماضي المجهول" **1946**، ثم "ابن عنتر" **1947**، وهو أول فيلم ديني في تاريخ السينما المصرية، ثم "المستقبل المجهول" **1948**، وقد ظل أثر الرصاصة يؤلمه إلى أن دخل المستشفى لإجراء عملية، إلا أن العملية فشلت وانطلقت روحه إلى بارئها، وفي عام **1950** عرض فيلمه الأخير "دموع الفرح"..

بعيدًا عن هذه العلاقة، فإن أحمد سالم قد ارتبط عاطفيًا بالفنانة مديحة يسري، وقيل أنه زواج استمر عامين، حيث التقيا عام **1946** للعمل في فيلم "رجل المستقبل"، وقد جمعتهما قبلة مشهد نهاية الفيلم، والمفروض أن تصوير القبلة لا يستغرق أكثر من ثوان إلا أن التصوير استغرق ثلاث ساعات، حيث أعيدت مرات كثيرة، حيث أن كلا منهما لم يستطع التحكم في مشاعره، وتحول التمثيل إلى حقيقة، وتصرف

الاثنان ضد أوامر المصور باعتبار أن أحمد سالم هو المخرج، وهنا كان الأمر قد بان، بأن الحب قد ولد بين الاثنين، في تلك الفترة كانت مديحة زوجة للمطرب محمد أمين، وبدأت العلاقة تنتشر في بطء وأصابت الدهشة المطرب حين طلبت مديحة الطلاق، فقد كانت العلاقة بالغة القوة، وقد حدثتني الفنانة بأن محمد أمين كان زوجًا مثاليًا لكنه الحب.. فعندما أحس بأن في قلب امرأته رجل آخر طلقها، وقد استمر زواج سالم – مديحة إلى أن حان أجل الممثل..

فايد محمد فايد

في صفحة فنون من جريدة "الأنباء" الكويتية في **15** فبراير **1994**، كتب سامح هلال عن المطرب الراحل فايد محمد فايد أنه تزوج تسع وثلاثين مرة من جميع الدول العربية، وأن أسمهان كانت واحدة من زوجاته، والحقيقة أن هذه المعلومات لم تطالعها عيناي من قبل في أي مكان آخر، وسوف نرجع إلى ما قاله الكاتب، بشكل محايد، خاصة أنه لم يذكر تواريخه، ولا مراجعه، حيث قال: "ذات ليلة حدث أن تقابل فايد مع المطربة الراحلة أسمهان في إحدى الحفلات الفنية، وكانت في ذلك الوقت تعاني أزمة نفسية بسبب فشل زواجها الثاني من المخرج الراحل أحمد بدرخان، في الوقت نفسه الذي كان فايد يعاني من أزمة بسبب فشل زيجاته الست الأولى، ومنذ اللحظة الأولى التي تقابل فيها مع أسمهان بات واضحًا للجميع أن شعورًا أقرب إلى الاستلطاف أو الاعجاب قد جمع بينهما فانعزلا عن الجميع منفردين بنفسيهما، وقبل نهاية الحفل استأذنت

أسمهان في الانصراف وخرجت بصحبة فايد الذي أبدى استعداده، بل ورغبته في توصيلها، وفي الطريق إلى منزل أسمهان كان فايد، وهو من النوع الذي لا تضيع منه مثل هذه الفرص قد اتفق معها على اللقاء في اليوم التالي..

وفي اللقاء الثاني، اكتفى كل منهما بشرح ظروفه للآخر، إلا أن فايد طلب من أسمهان في نهاية اللقاء أن تقبله زوجًا لها، وأمام دفء مشاعره وحرارة كلماته ونبرته الجادة الصادقة، وافقت أسمهان على أن تكون هي زوجته السابعة، ويصبح هو زوجها الثالث..

ورغم الحرارة التي أعلن بها العروسان خبر زواجهما إلا أن ذلك الزواج أصبح حديث الوسط الفني والصحافة الفنية المتخصصة عدة أسابيع، وتوقع الجميع لهذه الزيجة الفشل القريب، ذلك لأن أسمهان التي عرفها الوسط الفني تعشق الحرية بكل جوارحها، وتكره كل أنواع القيود، في حين أن المحيطين بفايد محمد فايد أكدوا أنه رغم احترافه الفن منذ سنوات طويلة وسفره إلى كثير من الدول لا يزال حتى الآن يتمسك بتقاليد الريف، التي تفرض كثيرًا من القيود على الزوجة، وهو ما حدث بالفعل، فلم يستمر الزواج بينهما سوى بضعة أشهر انفصلا بعدها لتتزوج أسمهان من المخرج الراحل أحمد سالم ويبحث فايد عن زوجة جديدة وسفر جديد..

وانتهى الكلام عن فايد محمد فايد كزوج للمطربة..

رجال ونساء في حياة أسمهان

نحن من الأجيال التي لم تشاهد أسمهان على الطبيعة، وإن كانت اللقطات المكبرة (كلوز أب) تملأ مشاهد فيلم "غرام وانتقام" ما يعكس مدى ما تتمتع به من جمال أنثوي، هذا الجمال شديد الإبهار والجاذبية، الذي لا يجود الزمن بمثله، في منطقتنا العربية، على الأقل إلا نادرًا..

ولاشك أن هذا الجمال، بالإضافة إلى ما تتميز به من هبات أخرى، كالصوت الصدَّاح، والأناقة، واللقب الذي كانت تحمله كأميرة، تحوط بالجمال، فتزيده ألقًا ما يزيد من درجة تأثيرها، وتصبح بؤرة جذب لعيون الرجال الذين تمر بينهم، فتزداد أعداد المعجبين بها يومًا وراء آخر، لذا كثرت أسماء عدد الرجال الذين مروا في دائرة أسمهان صاحبة العمر القصير، ربما بقصد أو بدونه..

ودعوني قبل أن أكتب عن أسماء بعض هؤلاء الرجال الذين مروا في حياة أسمهان أن أكتب عن عيني المها اللتين كانت تمتلكهما قوت القلوب، إنه اسم لإحدى زميلاتي في كلية الزراعة جامعة الاسكندرية، عام **1971**، حيث سرعان ما تردد في الكلية عن وفود طالبة جديدة حوَّلت من جامعة قريبة إلى كليتنا، وأنها تمتلك عيني المها، وكثر الحديث

عنها، إلى أن انضمت إلى قسمنا في إحدى المواد، وذات يوم كنا نصعد سلم الكلية، ورأيتها واقفة تستند على الدرابزين، وتنظر نحوي، وما إن رفعت رأسي إلى عينيها الواسعتين، عيون المها، حتى أحسست كأنها تجذبني إليها، وتخبرني أنها واقعة في غرامي، مجرد نظرة واحدة لم تتكرر، ولعلي لم أرها بعد ذلك، لكن هذا النوع من الجمال والعيون نادر لا يتكرر، ولعل أسمهان كانت تمتلك مثل هذا السحر.

لذا، فليس غريبًا أن يحوم الرجال، ويظهروا كثيري العدد، في حياة أسمهان من كافة المجالات، في الحياة السياسية والعسكرية والفنية، ومن رجال الصحافة الذين كانوا في أشد الحاجة إليها، بقدر ما هي أيضًا في حاجة إليهم كي يكتبوا عنها، وفي الكتابات الكثيرة عن أسمهان، كانت هناك أسماء متعددة دارت في فلك أسمهان، وإذا كنا قد خصصنا فصلًا للحديث عن أزواجها الذين اقترنوا بها بشكل رسمي، من خلال عقود زواج عرفية أو مؤقتة، فإن هناك رجالًا ارتبطوا بها بعلاقات عاطفية، متبادلة، أو من جانب واحد، وعلى رأسهم محمد التابعي..

محمد التابعي:

لم يحدث في تاريخ الصحافة المصرية، أن ارتبط رئيس تحرير إحدى الصحف أو المجلات بفنانة، وما إن انتهت العلاقة، أو اختفت الفنانة إلا وراح الصحفي يكتب بالكثير من التفاصيل، إلا من خلال تجربة واحدة

هي تجربة محمد التابعي وأسمهان، فرغم أن هناك أقاويل عن علاقة تربط بين أم كلثوم ومصطفى أمين، فإن هذا الأخير لم يمسك قلمه يومًا، ويشير إلى حدود تلك العلاقة بل ظلت خفية، كأنها لم تحدث، إن كانت هناك علاقة بالفعل، والغريب أن ما كتبه التابعي صار بمثابة المرجع الأساسي لكل من كتبوا عن تاريخ حياة المرأة في أغلب المجالات، سواء كفنانة أو امرأة أو كجاسوسة، وقد تم تسريب صور خاصة تجمع بين الصحفي والفنانة، تؤكد أن هناك علاقة أقوى من أن تكون بين صحفي ومطربة، وأنها لا شك أقرب إلى العشق، بل هي العشق، وأن التابعي لم يكن مغاليًا فيما حكى..

محمد التابعي (**1896** – **1976**) المولود في بورسعيد التي كانت تابعة آنذاك لمدينة السنبلاوين محافظة الدقهلية، هو واحد من أبرز الصحفيين في مصر في الربع الثاني من القرن العشرين، بدأ حياته الصحفية عام **1924**، وكتب في روزاليوسف، بعد أن استقال من وظيفته الحكومية، أسس مجلة "آخر ساعة" عام **1934**، وشارك في تأسيس جريدة "المصري" وكان من أبرز الكتاب السياسيين، تعرف على أسمهان عام **1940**، كما ذكرنا في مكان آخر، كتب عنه مصطفى أمين، كانت مقالاته تهز الحكومات وتسقط الوزارات، لا يخاف ولا يتراجع، وكلما سقط على الأرض قام بحمل قلمه ويحارب بنفس القوة والإصرار نفسه، تتلمذ على يديه عمالقة الصحافة والسياسة والأدب مثل محمد حسنين هيكل وعلى أمين، وكامل الشناوي، وإحسان عبد القدوس، وقد كان أديبًا له العدد من الكتب القصصية، منها "ليلة نام فيها الشيطان"،

"أحببت قاتلة"، "جريمة الموسم"، وقد تحدَّث عن أسمهان في العديد من كتبه منها: "من أسرار الساسة والسياسة"، و"أسمهان تروي قصتها" وقد تحوَّلت أربعة من أعماله إلى أفلام سينمائية هي "مصري في لبنان" **1952**، "عدو المرأة" و"نورا"، و"عندما نحب" في عام **1966**، وكتب السيناريوهات لأفلام، ومسلسلات تلفزيونية، ما يعني أنه كصحفي سياسي كانت له أنشطة أدبية، مثل تلميذه موسى صبري..

وكما أشرنا فإن التابعي هو المصدر الأول لكل من كتبوا عن أسمهان، وقد فعل ذلك عام **1949** في مجلة "آخر ساعة" أى بعد رحيل الفنانة بأربع سنوات، في فترة صارت أسمهان مجرد ذكرى تخص الأمس، وقد رجع إلى كتابات التابعي عن أسمهان، كما ذكرنا، العديد من الكتاب، فصارت المصدر الأول والرئيسي عنها، أو فلنقل عن علاقته بها، فهو لم يؤرخ لحياتها، وإنما قام بتسجيل علاقتها به، منذ أن عرَّفها محمد عبد الوهاب عليه، وقال له جملته المشهورة "هي دي اللى هاتجيب داغك" وقد قام كتاب كثيرون بعرض ما جاء في هذا الكتاب، كما ذكرنا في مكان آخر، وهم يحكون عن أسمهان، خاصة في فترة الخصوبة السياسية، ولعل كمال النجمي، المؤرخ الموسيقى الذي يُعتد بكتاباته عن هذه المرحلة، هو أكثر الناس معرفة بأهمية ما جاء في كتاب التابعي، فقام بعرض كتاب التابعي في مجلة "فن اللبنانية" في ثماني حلقات تحت عنوان "أسمهان في مذكرات صحفي"، ولا شك أن قيام النجمي بهذا العرض يعطي ما كتبه التابعي أهمية قصوى، باعتبار أن العروض الصحفية للكتب، ليس من شيم كبار الكتاب أو المؤرخين، أو أن قيام النجمي بهذا

العمل إنما يكسب ما كتبه التابعي وهو الصحفي الذي يكتب فيما يشبه الإبداع FICTIONبمعنى أنه يستفيد من موهبته كروائي وصحفي، فيرفع قيمة الكتابة عند النجمي، ويساعد في أن تكون قراءة النص أكثر شعبية لدى القارئ العادي، خاصة قارئ الصحف، علمًا بأن تاريخ نشر مقالات النجمي كانت في أغسطس 1996.

ولذا فإن عرض ما جاء بالكتاب استلزم الرجوع إلى النص الأساسي للكاتب، مصاغ على لسانه، وفي هذا النص فإن التابعي الصحفي، يهتم بكل ما هو خاص به، وبأسمهان، في الوقت الذي يضعه في إطاره العام، فرغم كل ما جاء في الكتابة، فإن التابعي لم يعط لنفسه الحق أن يقول أن ما بينهما هو قصة حب، رغم الحميمية الملحوظة التي كانت بينهما، والتي بدت في الصور الخاصة التي نشرها ورثة التابعي، خاصة ابنته، فيما بعد، ومنها صور لم تنشر إلا إبان رئاسة محمود صلاح لتحرير "آخر ساعة"، وهو الذي تأثر بشكل ملحوظ بأسلوب أستاذه في الحكي..

يقول الكاتب: "كنت سمعت باسم مطربة ناشئة اسمها أسمهان في عام 1929 أو 1930 وأذكر أن ماري، باسمها في شارع عماد الدين، وأرسلت إليَّ دعوة لحضور الافتتاح، ولم أذهب، وقابلتني ماري بعدها في الطريق وعاتبتني ووعدتها بزيارة صالتها الجديدة.. وذات مساء كنت ماشيًا في شارع عماد الدين مع نفر من أصدقاء الصبا والشباب، مررنا بصالة ماري منصور وتذكرت وعده، ودخلنا ووقفنا بضع دقائق نصغي

لصوت رقيق حزين، صوت فتاة كانت واقفة على المسرح تغني، وكانت نحيلة في ثوب أسود، وقد لفت رأسها، وأحاطت وجهها بخمار أسود، وكانت تغني وهي ساهمة الطرف، لا تلتفت يمينًا ولا يسارًا، ولا تلقي بالًا إلى صيحات السكارى وتأوهات المعجبين.. والأثر الذي تركته في نفسي هو أنها شيء صغير نحيل مسكين يبعث على الرحمة في الصدور"..

وقد اختفت أسمهان من أمام عينيّ التابعي قرابة العشر سنوات، إنها الفترة التي تزوَّجت فيها من ابن عمها، ثم عادت، ففي عام **1939** حدثه صديقه أحمد حسن هاتفيًا قائلًا أن أسمهان تريد التعرف عليه، كما اتصل به محمد عبد الوهاب طالبًا حضوره إلى مكتبه، وهناك كان الموسيقار يمسك بعوده وأمامه أسمهان، وهما يراجعان معًا أوبريت "مجنون ليلى" ووجد التابعي نفسه صامتًا ينظر في وجه المرأة الصغيرة منبهرًا بصوتها البديع، ويرى الكاتب أن أسمهان "لم تكن جميلة في حكم مقاييس الجمال، فوجهها مستطيل، وأنفها مرهف بعض الشيء، وطويل أكثر بقليل مما يجب، وفمها أوسع مما ينبغي، وذقنها بارز إلى الأمام أكثر، ولكن عينيها كانتا كل شيء، كان فيهما السر والسحر والعجب.. لونهما أخضر داكن مشرَّب بزرقة تحميها أهداب طويلة تكاد من فرط طولها أن تشتبك" هذا هو رأي التابعي فسيولوجيا من جمال أسمهان..

حسب الرواية، فإن عبد الوهاب فشل في إقناع المرأة في الظهور في فيلم "يوم سعيد" حيث كانت تخشى أهلها الذين قد يقتلوها لو ظهرت على الشاشة، في ذلك اليوم بدت أسمهان أقرب إلى الأنثى

الاصطناعية، في ملابسها، والحلي التي تضعها، وفي حركاتها، إنها متكلفة، تحاول أن تتصرف كسيدة صالون، لقد حاول عبد الوهاب أن يعرفه عليها، ليس فقط كفنانة بصحفي، ولكن أيضًا من قبيل مزاح الرجال، فإنه لو دخلت أسمهان حياة التابعي، فإنها سوف تكون أقرب إلى ترويض النمرة، "ح تجيب داغك"، لهذا قرر الصحفي ألا يكتب عن الفنانة ولا عن الفيلم إلا بعد عرض الفيلم، وأن يسمع الناس صوت أسمهان، واعترف الكاتب أن أسمهان أبلغته في أحد الأحاديث أن عبد الوهاب كان يغازلها بشكل خفيف، ثم توقف عن ذلك.. "إن عبد الوهاب يريد دائمًا من المرأة التي يحبها أن توفر عليه عناء الحب"، عليها هي أن تكون لها جرأة الرجل، وأن تترك له هو حشمة المرأة وحياءها، وأمام عدم القبول، كأنثى وذكر، قرر عبد الوهاب أن يعرفها على التابعي، فهو الذي يمكنه أن يُخضعها..

كان يناديها بـــ "إيميلي"، وتطورت العلاقة فيما بينهما، من علاقة صحفي مشهور بفنانة لافتة للأنظار، إلى صداقة عميقة، فأصبح يرى فيها مستقبل الغناء في المنطقة، يقول لها: "ثقي أنك قادرة في خمس سنوات على جمع ثروة تتيح لك الحياة التي تحبينها، إذا تفرغت لفنك، وفنك وحده".

كانت مليئة بالأرق، ذات ثقة أنها لن تعيش خمس سنوات، حتى إذا حققت الثروة المنشودة، تمكنت من الاستمتاع بها، ولعل هذا نية إقبالها الشديد على الحياة، تصرف ببذخ وتعيش حياة الأميرات الحقيقيات،

تشعر أنها لن تعيش طويلًا، ويصفها الكاتب أنها مرهفة الحس إلى حد المرض، يحس كأنها بلغت سن الشيخوخة، رغم صغر سنها، بدت هي بالغة الارتياح لهذه الصداقة أو العلاقة، وتعاملت معه كأنه صندوق مشاعرها، وذكرياتها تتحدث إليه عن أسرتها وطفولتها، كأنها في حالة اعتراف إلى طبيب نفسي تجلس أمامه على الأريكة وتتكلم، كان يطرح السؤال وتأتيه الأجوبة، تقول كل شيء بالتفصيل، التي نقلها الكاتب، وظل متذكرا إياها سنوات عديدة قبل أن يكتبها، تحدثت عن سنوات الفقر والطموح، وكلمته عن زيارة داوود حسني لمنزلهم، كانت تأتي إليه في البيت كي تتكلم إليه، كتب في مفكرته: "هل أصدقها؟ لقد لمست في أخلاقها الكثير من المتناقضات وعرفت أنها تستطيع أن تكذب، ويمكنها عند الحاجة أن تمثل، وأن بكاءها لا يدل على حزن أكيد لأنه نزوة، كما أن سرورها لا يدل على فرح أكيد لأنه نزوة، وهي تستطيع دائما أن تبكي وتضحك في ساعة واحدة... هل أصدقها؟.. حقيقة أنا حائر في أمرها"..

يبدو أن التابعي وجد ضالته الصحفية الفنية في هذا التناقض، فهي فنانة صارت مشهورة، تتمتع بجمال ملحوظ، وإن لم تكن جميلة الجميلات في رأيه، مثل أمينة البارودي، ومع الأيام صارت أراؤه عنها تتبلور، فهو يراها، فيما بعد، مزيجًا من الخير ومن الضعف الذي كثيرًا ما يؤدي بصاحبه إلى حيث لا يرضى الناس..

وكما أشار النجمي في عرضه لكتاب التابعي، فإنه يقول إن الصداقة توثقت بينهما لدرجة أنه ظن أنه صار "صاحب حق" عليها، في البداية كان يشعر بالغيرة في خفاء لم يحس به من أول الأمر..

يقول التابعي:

"كان من عاداتي في أثناء الصيف أن أقضي عطلة نهاية الأسبوع في الإسكندرية، وسافرت أنا ومصطفى أمين ونزلنا بفندق ويندسور، وإذا بأسمهان جالسة مع أحد الباشوات أصحاب المعالي الوزراء، وفي الصباح قابلتها في بهو الفندق وجهًا لوجه ومعها الباشا العزيز، ولم يكن هناك بد من أن أحييه لأني أعرفه، وحييتها هي أيضًا"

وقد صاغ الكاتب هذه الحكاية على طريقة الرواية، بها الحوار القصصي، بأسلوبه الخاص، وقد فهم التابعي من حديثها إليه، أن أسمهان تتحدث كأنها والباشا شئ واحد، فهي تدعوه للحضور إلى العزبة "عزبتنا"، وهي عزبة الباشا العزيز وأن من حقها أن تدعو إليها من تراه..

التابعي لم يذهب بعيدًا، ولم يحلل الأمر، كل ما فعله أن كتب في مفكرته أفكارًا قاسية عن أسمهان، ولم يؤكد أن هناك علاقة ما بين الطرفين، كل ما فعله أن روى، وكل ما أشار إليه أنها تحب الامتلاك، فهي تتحدث عن "عزبتنا" التي يمتلكها الوزير الذي تناديه باسمه مجردًا، ومن

ناحية أخرى تتعامل مع التابعي على أنه ملك لها، فعندما رأت معه إحدى النساء، زوجة صديق، اقتحمت عليه غرفته غاضبة، وبعد حوار ساخن تصفعه كأنه أحد أملاكها، وقبل أن يغضب ارتمت على صدره تبكي..

عبَّر الكاتب عن إعجابه بهذا الاعتذار الباكي، فعفا عنها، وهدأت أعصابه، وقبل اعتذارها وهي ملتصقة به، ورأسها على كتفه، ودموعها تجري على خديها.. لم يشر الكاتب إلى الحوار الذي دار أثناء البكاء، هل قالت شيئًا، هل استخدمت عبارات تؤكد على أن ما بينهما عاطفة جياشة كان كل ذلك نتاجها، آثر الرجل ألا يفصح إلا بكل إيجاز، أن مشاعر فياضة بينهما، دون ذكر ذلك بوضوح، فهي تشعر بالغيرة، وتصفع، وتبكي، ثم تنصرف، وفي حديثه يؤكد التابعي أنه رجل لا يشعر بالغيرة، وقد جعله هذا ثابتًا في علاقته بها، وربما في كافة علاقاته الأخرى..

لكن هناك سؤال.. هل عدم الشعور بالغيرة، أنه يعرف كم هي هوائية، وأن مشاعر عاطفية من طرفها على الأقل، فهي التي "تفعل"، تدخل عليه الغرفة غاضبة، وتنفعل، ثم تصفع وترتمي على الصدر، وتبكي، ثم تنصرف..

لم تكن لديها مفكرة تدوِّن فيها أي شيء، إنها تكتفي بالتلقائية، أما هو ففي حالة "عمل"، ما إن يدور الحدث، وينتهي، حتى يدوِّنه في المفكرة، هو يراها ممثلة لا يمكن الإمساك بها، خاصة أنها تفقد اتزانها عقب

الكأس الرابع: "هل أحسست بالغيرة؟ لا أظن.. فقد اهتزت نفسي على أن (أعرف، أسمهان كما هي.. ولا أطلب منها ما ليس فيها) على الأقل لن أدعها تعرف أنني أغار".

في محيط حديثه عن أسمهان وإعجابها الشديد بأم كلثوم، تحدث التابعي عن الكبرياء الذي كانت تتمتع به أسمهان، وهو نفس الشئ الذي تفهمته أم كلثوم، فالمطربة الشابة لم تكن تغني في دار التابعي إذا غنت أم كلثوم، إلا أنها كانت تفعل ذلك إذا جمعتهما حفلات خاصة جدًا في بيت أم كلثوم، يحضرها محمد القصبجي، وأم كلثوم، وأسمهان، وكان لهذه الحفلة طقوس، فأم كلثوم تجلس فوق مقعد، وأسمهان تجلس على الأرض (وهكذا اختارت الجلوس) والقصبجي يجلس على كرسي ومعه عوده إلى جوار أم كلثوم..

وقد تحدَّث التابعي في كتابه عن رجل آخر دخل في حياة أسمهان في تلك الفترة، وسوف نفرد له حديثًا لاحقًا، هو أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي، حيث تم التعارف في بيت الصحفي، وعلى الفور قام الباشا بدعوتها إلى مصر، في حي الدقي، ويقول التابعي أن علاقة الاثنين أقرب إلى الميل، وقد أعجبها فيه أنه رجل في دائرة الضوء والاهتمام، وأحبت أن تنال قسطًا من الاهتمام، أما كمال النجمي فيردد أن أسمهان لم تحب التابعي، ولا أي رجل صادفته في حياتها، ولم يكونوا قلائل، رغم أن المرأة كانت تملك قلبًا في غاية الرقة والحنو على الناس، حتى أنها كانت تتحمل الأذى، أو ما يشبه الأذى، في هذا السبيل..

وأكد النجمي أيضًا أن أسمهان تعرَّفت في ذلك الحين إلى أمراء ووزراء وكبراء لم تكن تملك شيئًا، وكان صديقها الوحيد الذي تثق بصداقته هو التابعي، ويروي أنها عندما انتهت مدة إقامتها بمصر وهددها وزارة الداخلية بإبعادها عن البلاد لم تلجأ إلى أولئك الأمراء والكبراء والوزراء، بل لجأت إلى التابعي، الذي أسرع بمقابلة رئيس الوزراء آنذاك، حسين سري باشا، واستصدر منه أمرًا ببقائها مدة أخرى طويلة..

وحسب المصدر فإن أسمهان لم تكن تميل للغناء بأجر سواء في الحفلات الخاصة أو العامة، إلا أنها اضطرت إلى ذلك كي تعيل والدها، وابنتها كاميليا، فهي تدفع النصيب الأكبر في مصاريف البيت، بينما أخوها فريد يساهم بقدر محدود تبعًا لدخله ومسئولياته الأخرى: "إن أهلي لا يقولون لي صباح الخير إلا بالثمن"..

ويعلق التابعي: "من هنا كانت تغني في الحفلات التي تكرهها، وتسافر إلى مدن خارج القاهرة من أجل الغناء بأجر"..

وعندما أصابها المرض ذات يوم، فإنها اعتمدت على خادمتها وخادمها اللذين دبَّرا ثمن الدواء دون أن تطلب من أحد، وعندما علم التابعي بالأمر قالت بوضوح: "تكفيني صداقتك، لم أعتد أن أمد يدي لأحد بالسؤال".

"نعم، لهذا كانت أسمهان تضطر إلى الغناء بالأجر في الحفلات العامة والخاصة وهي كارهة لها أشد الكراهية"، أما كمال النجمي فيقول:

"إن هذه المطربة العظيمة ذات الصوت العبقري كانت تريد صوتها لنفسها ولأصدقائها للحفلات العامة والخاصة التي تتقاضى عنها أجر"، إذ كانت تطرب حين تغني لنفسها، وحين يغني لها زملاؤها المطربون وزميلاتها المطربات، حتى يستخفها الطرب فترقص تعبيرًا عنه، ويقول التابعي: "أقمت مرة حفلة صغيرة دعوت إليها عددًا قليلًا من صديقات أسمهان وأصدقائها، وغنَّى فيها المطرب الكبير صالح عبد الحي، واستخف المطرب أسمهان، فإذا بها تثب واقفة وترقص على النغم القديم، ولعلها كانت المرة الأولى والأخيرة التي رقصت فيها أمامي"..

حسبما جاء في العرض الطويل حول كتاب التابعي، تحدث كمال النجمي أن الطلاق تم بين بدرخان وأسمهان ليلة الثلاثاء من أواخر أبريل عام **1940**، أي قبل عرض الفيلم بعدة أشهر فيلم "انتصار الشباب"، وفي صبيحة الأربعاء خرجت من بيتها إلى منزل التابعي في الزمالك ومضت تروي له تفاصيل ما حدث بالأمس، وقد روينا عن هذا الأمر في محض حديثنا عن أحمد بدرخان..

وعقب طلاقها من بدرخان، كما يروي التابعي، فإن أسمهان لزمت مسكنها أيامًا لا تغادره، ولم يكن يزورها سوى أمينة البارودي وبعض الصديقات، وقد ترك هذا الطلاق أثره الكبير في سلوك الصحفي تجاه المطربة، فهو يرفض مقابلتها في مكان عام حفاظًا على القيل والقال، وأيضًا لا يذهب إلى دارها لأن شبح بدرخان لا يزال موجود به، لما لا يقبل منها هدية، لا يعرف مصدر أموالها، ودائمًا يردد لها "كاذبة"،

وكانت تأتيه في مترله، ويتعامل معها، حسب الرواية، بجفاء ملحوظ ويقر أهٔا متعددة العلاقات، هو يعاملها بفظاظة، وهي ترد عليه بغلظة، ولكن رغم كل ذلك فهي، كما أخبره سليمان نجيب، حريصة على صداقتهما، لذا كانت تبدأ بالمصالحة والاتصال به، بدا التابعي كأنه يحكي دون أى تبرير أو شرح لهذه الخصومة والقطيعة الملحوظة، ثم تأتي له وتطلب منه القسم بأن يحفظ سرها، قبل أن تبوح به، فقد لجأت بريطانيا التي كانت تجتاز آنذاك أحلك فترات الحرب العالمية الثانية، إلى أسمهان كي تستعين بها على دخول سوريا ولبنان، وطرد حكومة فيش، رئيس الوزراء لحكومة موالية للنازيين الذين احتلوا بلاده عام **1940**، ويتساءل النجم لا يدري أحد لماذا اختار البريطانيون أسمهان لهذه المهمة الخطيرة، ولماذا وضعوا في يدها أربعين ألف جنيها، وقد تعامل التابعي مع هذه القصة بالكثير من الارتياب في نوايا الإنجليز، وأحس بالخوف على أسمهان..

بدت أسمهان هنا، كأنه ليس أمامها سوى أن تفعل ذلك، فهي في حاجة إلى المال لأسباب متعددة، وقررت السفر، حسب التابعي فإنه كان صندوق أسرارها، أو مستشارها الشخصي، ونصحها بالسفر، وأن تعود إلى زوجها الأول، محذرًا إياها أن المهمة أخطر مما تتصور "لم أستطع أن أخفي سرًا عنك لأنني أعتمد على رأيك".

وقبل السفر، أقام التابعي حفلًا صغيرًا، حضره على شرفها محمد عبد الوهاب، وسكرتيرها هاري قلادة، وكان السؤال المطروح وسط

حالة من الشجن: لماذا لم يساعدها التابعي لتجديد مدة إقامتها، ولم تكن الإجابة واضحة أمام الحاضرين..

وعادت أسمهان إلى الشام، وأقامت في فلسطين، تعيش في بذخ لم تعرفه من قبل، وعادت إلى ابن عمها، وقد التقى التابعي في تلك الفترة بجبرائيل تقلا باشا، صاحب جريدة الأهرام، وأخبره أنه قابل أسمهان، وناشده أن يسرع بالسفر إليها، فهي تنتحر ببطء، ويخبره تقلا أنه يطلب هذا "لأنك صديق لها، وهي تثق بك كثيرًا، فمن واجبك أن تذهب إليها لكي تنصحها، وتؤثر فيها، وتهديها سواء السبيل".

عرف التابعي أن أسمهان تعيش حياة محمومة، وسط البذخ والسهرات وقد صار وجهها شاحبًا بشكل ملحوظ، وصار إسرافها هو حديث الناس في مصايف الجبل بلبنان، لدرجة أنها أقامت حفلًا ساهرًا تكريمًا لبعض كبار المصطافين المصريين بلغت نفقاته ألف جنيها..

لم يسافر التابعي كما نصحه زميله، بل أرسل لها خطابًا، لم تعمل بما جاء فيه، واستكملت حياتها المحاطة بالبذخ، والسياسة، وأداء مهمتها الجديدة لإقناع أهلها في جبل الدروز بالوقوف إلى جوار جيش فرنسا الحر الذي يقاوم الاحتلال النازي لفرنسا، كان عليها أن تعيش هذه الحياة الجديدة بكل ما بها من مفردات، فهي محاطة في كل مكان بكبار الضباط الإنجليز، أو الفرنسيين، كما انعكس ذلك على ما تشتريه من ملابس فخمة، وما تأكله وتشربه، وقيامها بشراء سيارة من نوع الرولز

رويس، إلى أن استلم التابعي برقيتين من لبنان، بشكل منفصل، كتبت الأولى أمينة البارودي، والثانية أسمهان، بأنها مريضة، فركب قطار فلسطين، في أواخر أكتوبر عام **1941**، ووصل إلى القدس، وهناك كانت المفاجأة، فلم يكن هناك مرض، وإنما أرادت أسمهان أن تستقدم التابعي إلى فلسطين، ثم بدأ العتاب، ليس لأن المرأتين ضحكتا عليه، وكذبتا، بل لأن الكاتب راح يحذر أسمهان مما هي مقدمة عليه، وعاتبها على حياتها التي تعيشها، فأبلغته أيضا أن الإنجليز يغدقون عليها بالكثير، بدت مخمورة بما هي عليه، لا تفكر في الغد، وقد كان رد الفعل أنه "بدأت في تلك الساعة أراجع نفسي في شأن هذه العلاقة أو هذه الصداقة التي كانت تربط بيني وبين أسمهان!.. كانت الحمى قد ركبتها تمامًا، وكانت هي قد ركبت رأسها لا تبالي بأحد ولا تصغي إلى أحد، وكل نصيحة كانت تذهب دخانًا في الهواء"..

وبناءً عليه، فإنه، على طريقة النهايات السينمائية، هل كانت أسمهان تستحق هذه النهاية المأساوية تبعًا لكل تصرفاتها النزقة، على الأقل حسب ما كانت تسلكه، وسجله عنها في كتابه، كانا يتشاجران، ثم يتصالحان، وبدا الرجل كأنه العقل الراجح الذي يوجهها، أما هي فلا تكف عن الشراب طوال ساعات النهار، "من الخير لي ولها أن أقطع كل ما بيني وبينها، وبيني وبينها ما بين الشرق والغرب"، ثم عاد إلى القاهرة، يستقبل برقياتها، قد يرد عليها أحيانًا، ويتجاهلها أحيانًا أخرى، وقد يعود من جديد إلى القدس راكبًا نفس القطار..

فؤاد الأطرش:

كنت ألتقيه حين يأتي إلى الإسكندرية في عام **1983**، وينزل في فندق البوريفاج، كان يأتي لزيارة صديقه الدكتور الغرياني، وينضم إلى مجموعة من الأصدقاء تضم أيضا خطيبتي في تلك الآونة، إنه رجل خفيف الظل بشكل ملحوظ، متأنق، يملأ المكان بهجة وأنس ما قاله يوما لخطيبتي أنه يسكن في شقة أخيه الراحل فريد الأطرش، الشقة تتكون من أربع وعشرين غرفة، ومهما زاد عدد الحجرات في الدار، فالمرء لا ينام إلا في غرفة واحدة، أعجبتني هذه المقولة، ورأيت فيه الحكمة، وكنا نرى شبح أخيه يطل من خلفه، لذا فعندما رأيت المسلسل، لم أصدق ما جاء به، وكأنه شرير الفيلم، وعندما قرأت أكثر عنه، بدا لي ما فعله أمر طبيعي، فهو الوحيد من أفراد أسرته الذي لم يمتلك الصوت الغنائي الجميل، وهو الأكبر سنًا، وهو أيضًا القادم من الجبل، حيث تقاليد الأسرة، والعادات الجبلية، ومسألة الشرف فيما يخص فتاة صغيرة بالغة الجمال، حسنة الصوت، ترتاد ملاهي شارع عماد الدين لتغني وسط السكارى، مثلما شاهدها محمد التابعي في بداياها، وأرى أن الأخ قد تكون له أسبابه، أن يدفع بأخته إلى الزواج من ابن عمهم الأمير، فهذه سُترة، وماذا يطمح الشرقي أكثر من سُترة أخته الوحيدة..

ما نكتبه عن فؤاد الأطرش مأخوذ من المصادر، وهي على مسئولية من كتبها، أما بالنسبة لي فقد رويت بعضًا مما عرفته عن الرجل. فمن يكون فؤاد الأطرش؟

عاش بين عامي **1910** و **1995**، ولا شك أن ما رويناه في أماكن أخرى من الكتاب هو أيضًا سيرة ذاتية له، باعتبار أن الأسرة كانت وحدة واحدة، وفي تاريخه لم يعمل بعيدًا عن أخويه، وعاش في كنف أخيه الأصغر، يعمل مديرًا لأعماله، خاصة مع اتجاه فريد الأطرش إلى الإنتاج السينمائي، وازدهار أحواله..

حسب المصادر فإن فؤاد الأطرش نشر مذكراته عام **1960**، وقد أملاها إلى الصحفي فوميل لبيب، وعقب إذاعة مسلسل "أسمهان" أعلن فيصل ابن فؤاد الأطرش عن طرح نسخة إلكترونية من الكتاب الذي يحمل عنوان "قصة أسمهان" الا أنه تعذر علينا العثور على أي من النسخة الإلكترونية أو الورقية لمعرفة رأي الأسرة، وعلى كل، فإن الأخ الأكبر لعب دورًا بارزًا في الحياة القصيرة التي عاشتها أسمهان..

في مقدمة هذا الكتاب يقول فؤاد: "لا أكتم أنني كنت أجد في شقيقتي سيدة موهوبة متفوقة، وأوليها الإعجاب شأني شأن كل من عرف مواهبها وأدرك قوة شخصيتها وإبداعها وأنا أشعر إذ أروي هذه المذكرات بألم وحسرة، فالزمان لا يجود كل يوم بأسمهان..

وحسب المصادر فإن سمعة أسمهان كان قد تناولتها الألسن بعد أن صارت في حلقة الشهرة، وارتبط اسمها بحسنين باشا رئيس الديوان الملكي، وقد وصل الأمر إلى أن الملك نفسه كان يوليها اهتمامًا، لدرجة

أنه قيل في أحد المراجع التي لدينا أنها أصبحت محظية، في حفلات القصر الملكي، كل هذا جعل فؤاد يصمم على أن تتزوج شقيقته من درزي".

فهو الذي سافر إلى سوريا، وعاد ومعه ابن العم الأمير حسن الأطرش، وراح يضغط على الأم والأخت حتى رضخت ووافقت بشروط على الزواج، وأن تترك القاهرة، وتتزوج في جبل الدروز لمدة ست سنوات..

وفي حديث تلفزيوني شاهدته، أجراه طارق حبيب في التلفزيون المصري، بدا فؤاد الأطرش حزينًا منكسرًا، وقد مرت به السنون، وهو يختلف تمامًا عن الشخص المرح الذي قابلته، تحدث عن مدى خوفه عليها، وقد اعترف أنه كان يتعامل معها بقسوة لدرجة أنه كان يقوم بضربها ضربًا مبرحًا، إلا أنه كان في الوقت نفسه يحبها، ويخاف عليها من أعين الناس، ويقول حبيب في هذا الشأن "فؤاد أكد لي أن حبه لأسمهان كان يفوق أي حب في الدنيا، وإن كانت الأقدار قد اختطفتها وهي في ريعان الشباب، ولم يذكر لي سبب وفاتها، وهل ماتت مقتولة أم لا؟ بل أكد أن الله وحده هو الذي يعلم سبب وفاتها فهي لم يكن لديها أعداء على الإطلاق"..

وأعتقد أن كلام الشقيق الأكبر في هذا الشأن هو الأقرب إلى الحقيقة بدلًا من كل التكهنات التي رأيناها من قبل، وهي مطروحة في كل تاريخ المطربة..

الجدير بالذكر أن فؤاد الأطرش، قد تزوَّج من وجيهة الأطرش ابنة على الأطرش أحد زعماء جبل الدروز، المعروف الآن بجبل العرب، وفي منتصف الخمسينيات تزوج من الممثلة إيمان، التي اكتشفها أخوه فريد، وقامت بالبطولة الثانية أمامه في فيلم "عهد الهوى" لبدرخان عام **1954**، وفي العام التالي قامت أمامه بدور أقرب إلى دور الملكة ناريمان في حياته، في فيلم بعنوان "قصة حبي"، كان يجيد الحديث بالفرنسية، حيث درس بمدارس الفرير، وكان يهتم كثيرا بالسياسة العربية، وله صداقات عربية واسعة..

أحمد حسنين باشا:

كان هو الآخر رجلا جدليًا في مجمل حياته، وهو الذي عاش بين عامي **1889** و**1946**، فهو من أسرة علم، حمل جده لقب أمير التجار، وكان أبوه أحد المقربين من الخديو عباس، ثم السلطان حسين، تخرَّج في جامعة أُكسفورد، وعمل في وظائف عديدة، منها أمين للملك فؤاد عام **1924**، وتم انتدابه لملازمة ولي العهد فاروق في رحلته الدراسية بلندن عام **1925**، وصار رئيس الديوان الملكي عام **1940**، وهي الفترة التي بدأ يتعرف فيها على أسمهان.

كان رجلًا شديد الجاذبية للنساء، وتزوَّج من ابنة مطلقة الملك فؤاد، الأميرة شويكار، حيث تزوج من ابنتها لطيفة هانم سرًا، وأنجبت

منه ولدين وابنتين وبذلك ثبت أولى خطواته باتجاه السلطة، ثم حدث الطلاق..

وفي القصر رمى حسنين باشا بشباكه حول الملكة نازلي، أم الملك فاروق، ووقعت في غرامه، في نفس الفترة التي تعرَّف على أسمهان وأُعجب بها، ما ولَّد مشاعر الغيرة في قلب الملكة نازلي، حين تأتيها الأخبار عن لقاء بين الباشا وأسمهان في فندق مينا هاوس، وهي اللقاءات التي تحدَّث عنها التابعي في مفكرته..

"لم تصبر الملكة نازلي طويلًا على تلك العلاقة، فقررت بدافع الغيرة الانتقام فقررت أن تطرد أسمهان من مصر، وبالفعل اتصلت بحسين سري باشا رئيس الوزراء، ووزير الداخلية الذي تولى عملية تنفيذ القرار، مبلغًا أسمهان بأن إقامتها في مصر انتهت وأن عليها أن تغادر خلال أسبوع.. ليصيبها هذا القرار الخطير بالجزع والحزن الشديدين ولم تجد من يقف بجانبها سوى الصحفي الكبير صديقها محمد التابعي الذي تمكَّن بصداقته لكبار المسئولين أن يوقف تنفيذ هذا القرار، وتجددت إقامتها مرة أخرى في مصر، بعد ذلك بوقت قليل تزوَّجت الملكة نازلي من أحمد حسنين عرفيًا بموافقة الملك فاروق..

لم تشر أي من هذه المصادر إلى حدود العلاقة بين أحمد حسنين باشا، وأسمهان، لكن كافة المراجع أكدت عليها، وقد ظلَّت الملكة الأم زوجة للباشا رغم المتاعب التي سببتها له زوجته الأولى، حتى مات في

حادث سير في **19** فبراير **1946** إثر اصطدام شاحنة تابعة للقوات البريطانية بسيارته فوق كوبري قصر النيل، فهل كان حادثًا مُدبرًا للرجل الذي كان أقرب في سماته إلى الرجل الذي جاء بعده في حياة أسمهان، فهو من أول من قادوا الطائرات، وحاول قيادة طائرة خاصة بمفرده وهو عائد من أوروبا، كما أن الباشا كان بارعًا في لعبة الشيش، وكان رحَّالة من الطراز الممتاز اكتشف مجاهل الصحراء المصرية، فاكتشف واحة الكفرة، ونال الميدالية الذهبية من الجمعية الجغرافية الملكية بلندن، وكم حصل من أوسمة ونياشين عن اكتشافاته في الصحراء المصرية..

فريد الأطرش:

ليس الأخ الأوسط المطرب والملحن فريد الأطرش في حاجة إلى أن نسهب في الحديث عنه بمناسبة مكانته في حياة أخته، فقد شرحنا الدور في صفحات أخرى بهذا الكتاب، ومن المهم الإشارة إلى ما كتبه الصحفي اللبناني محمد بديع سربية صاحب ورئيس تحرير مجلة "الموعد" في محيط حديثه عن أسمهان .. في الحلقات التي كان ينشرها تباعًا تحت عنوان "حقيبة الذكريات"، الذي يقول فيما لدينا ما كتب:

"وأصبحت من أصدقاء فريد الأطرش، وكنت ألاحظ أنه كلما جاء ذكر أسمهان في أحاديثنا فإنه كان يحرص على الكلام عنها كفنانة نادرة ويتحاشى أي كلام عن الدور الذي لعبته لمصلحة قوات الحلفاء"

وقد أشار سربية أن فريد لم يكن يغادر بيته يوم **14** يوليو، لأنه اليوم الذي فقد فيه شقيقته، وقال أن سبب إصابة فريد بمرض القلب كان يوم استمع إلى خبر وفاة أخته، حيث قال الطبيب للأخ فؤاد: لولا أن شقيقك شاب في مقتبل العمر، كان يومها في الخامسة والثلاثين، لكان قلبه قد توقف عن الخفقان إثر الصدمة"..

ثم أكمل

"ويجب أن يعلم فريد أن شرايين قلبه في غاية الرقة والحساسية، وأي صدمة قد يتعرض لها يمكن أن تهدد حياته"..

كان فريد كثير المرونة إزاء أخته، وذلك عكس فؤاد، وكم قال لها، حسبما حكى سربية في حلقات أخرى بعنوان "قصة لا تُنسى": "شوفي يا آمال، لا تهتمي بالتقاليد، ولا بأي اعتبار آخر، اسألي قلبك وخذي منه النصيحة، فإذا كان قلبك يحدثك بأنك ستجدين السعادة في كنف الأمير حسن، فليكن، واذهبي أنت إليه بنفسك، وإذا كان قلبك ينبئك بأن سعادتك ستكون في الفن، فلا تدعي أي عقبة تقف في وجه هذه السعادة"..

لقد اعتاد الأخ أن نشاركه أخته الآراء، وحب الفن، لذا فإن فريد قال لسربية في حديث آخر نشرته مجلة "نورا" في حديث تم إجراؤه عام **1964**، أى بعد رحيل أسمهان بعشرين عامًا أنه سيظل في حالة حداد

عليها إلى الأبد، "وإلى أن أموت إن أسمهان كانت أغلى إنسانة عندي في الدنيا، ويوم فقدها سكن الحزن في قلبي، وصار البكاء محببًا إليّ، وفي يوم 14 يوليو بالذات لا أستطيع إلا أن أتذكرها، وأستعيد صور اليوم الذي فُجعت فيه برحيلها، وكان هو نفسه اليوم الذي بدأ فيه معي مرض القلب".

كاميليا الأطرش:

هي ابنة أسمهان، من زوجها الأمير حسن الأطرش، مولودة في 14 يوليو عام 1937، وقد تحدثت إلى مجلة "سيدتي" واعترفت أن أمها قد ولدت قبلها طفلين، هما صبي وفتاة عاش كل منهما لمدة ثمانية أشهر، قبل أن يصابا بالمرض ويتوفيا، كانت والدتي تحب الحياة جدًا والأولاد أيضًا، وتحكي أنها وهي في سن الرابعة، جاء منير، الأخ غير الشقيق لأسمهان، فهو ابن الأمير فهد الأطرش من سيدة من آل جنبلاط تزوجها بعد طلاقه من علياء المنذر، إلى فندق الملك داوود بالقدس، حيث تقيم أسمهان، واصطحب كاميليا بالقوة، وعاد إلى جبل الدروز.. وبالرغم من صغر سني إلا أن هذه الحادثة لا تزال ماثلة في ذهني إلى الآن، وأذكر أن خالي منير جاء إلى الفندق برفقة ثلاثة ضباط من الإنجليز، وحملني قائلا لأمي أن الأمير حسن أمرني باصطحاب كاميليا إلى الجبل، وبينما كنا ننزل على سلالم الفندق، وهو يحملني بين ذراعيه، رحت أبكي وأشد شعره، وأصرخ:

– أريد ماما، أريد ماما

بعدها وضعوني في الطائرة واصطحبوني إلى الشام..

وقد انتقلت بين الشام وجبل الدروز طوال ثلاث سنوات، ولم ترها ولا مرة واحدة حين جاءت إلى الجبل لتقديم واجب العزاء بعبد الغفار باشا الأطرش "فقدمت لزيارتي والاطمئنان عليّ، وجلست بقربي على السرير لأنني كنت مصابة حينها بالحصباء، وأحضرت لى الهدايا، وكنت في السادسة من عمري.. وكان ذلك بمثابة اللقاء الأخير..

في لبنان، تزوَّجت كاميليا الأطرش من رياض جنبلاط، تزوَّجته بناءً على أوامر من أبيها، وهي لا تزال تلميذة في المدرسة، وقد ورثت الابنة جمال صوتها، وجدتها إلا أن أباها، ثم زوجها من بعد، قد منعا عليها الغناء تمامًا، وتعترف أن خالها فريد كان سينوي أن يلحن لها أغنية، إلا أن الأب وقف لذلك بالمرصاد، لعله أخذ درسًا من زوجته..

الأميرة علياء المنذر:

هي والدة أسمهان، ولدت في جبل الشيخ في قرية مجدل شمس مع مطلع القرن العشرين، وانتقلت مع عائلتها بعد ذلك للعيش في منطقة حاصبيا، تلقت تعليمها في لبنان، وفي عام 1910 تزوَّجت من الأمير فهد الأطرش، الذي كان يعمل في تلك الفترة ضابطًا برتبة قائمقام في منطقة

حاصبيا ووادي التيم في لبنان، وعاشت تتنقل معه في سفرياته بين تركيا وسوريا ومصر، وكانت أول امرأة تقود سيارة في لبنان، تمتعت بالجمال والذكاء، وعذب الصوت، تمتعت بالجرأة، وأنجبت ثلاثة أبناء، وهي سيدة بيت، فعلت الكثير من أجل دفع أبنائها لتحقيق طموحاتهم، وقد حكينا عنها في أماكن أخرى من الكتاب، وقد عمل زوجها أيضًا كمتصرف لواء الكرج في بلاد الأناضول أثناء الحرب العالمية الأولى، وصدم لدى سماعه الشتائم والتهديد بالانتقام التي كانت تنطلق من أفواه الجنود الأتراك بعد أن حلَّت بهم الهزيمة على أيدي الحلفاء بمساعدة الزعماء العرب ومنهم الأمير فيصل، في بلاد الشام والحجاز، لذا قرر أن يعود إلى لبنان، مع أسرته، وكانت زوجته في أشهر الحمل الأخيرة، ورغم المخاطر فإنه انطلق نحو الميناء ليلحق بالسفينة المتجهة إلى بيروت في اللحظة الأخيرة وفوق السفينة وضعت الأميرة علياء ابنتها آمال..

انفصلت الأميرة عن زوجها بالطلاق، كما تقول المصادر، وظلت تؤدي دورها حتى رحلت عام **1969** في جبل العرب..

في عالم الفن

الحياة الفنية الحقيقية لأسمهان قصيرة للغاية، ويمكن أن نحصرها بين عامي **1939**، و**1944** التاريخ الأول هو عودتها من جبل الدروز لتغني في القاهرة، والتاريخ الثاني هو رحيلها المأساوي وقد تبوأت في هذه الفترة مكانة عالية، جعلتها في المصاف الأول لعالم الطرب النسائي على الأقل، ولتجذبها السينما للعمل كبطلة مطلقة في فيلمين كبيرين،

بالإضافة إلى دورها كمغنية فقط في فيلم "يوم سعيد" لمحمد كريم عام **1940**، حيث استعان بها عبد الوهاب لتغني في أوبريت "مجنون ليلى"، حيث رفضت أسمهان أن تظهر بصورتها في السينما حتى لا تسبب لنفسها ولأسرتها المشاكل، ثم رأيناها في فيلمين هما "انتصار الشباب" لأحمد بدرخان عام **1941**، و"غرام وانتقام" ليوسف وهبي عام **1944**..

في هذه الفترة القصيرة نافست مطربات عصرها من كافة الأجيال، وعلى رأسهن أم كلثوم، حيث كتب صميم الشريف في ما يُسمى بالموسوعة العربية أن أداءها تميز بدقة التعبير وجودة الأداء، ويوصف صوتها بالحنان والدفء، وفيه نبرة خاصة وأنوثة واضحة، ومداه في طبقة

الصوت ديوانان وأكثر، وهو من طبقة Me22oso1ranoنصف الصادح، وقد يجتازها إلى الأعلى..

ويقول المصدر نفسه أنه في أغنية "يا طيور" دليل واضح على جمال صوت أسمهان وإبداعها في الغناء، وقدرتها على التعبير في طبقات صوتية عليا، وهذا اللحن تطوير للموسيقى والغناء في العالم العربي، وهو من ألحان محمد القصبجي، وفي أغنية "ليالي الأنس" من تلحين فريد الأطرش، انتقلت أسمهان من انفعال إلى آخر انتقالًا سريعا يماشي المعنى واللحن..

يعني هذا أن التراث القليل في الأغنيات كان ثمينا للغاية، وقد لَحَّن لها هذا التراث المهم كل من محمد القصبجي، ورياض السنباطي، وفريد الأطرش، وزكريا أحمد، ومحمد عبد الوهاب، ومدحت عاصم، وكتب هذه الأغنيات أسماء بارزة منهم أحمد شوقي، وأحمد رامي، وحسين السيد، ومدحت عاصم، ويوسف بدروس، ومأمون الشناوي، وبيرم التونسي..

في صباها غنت أسمهان على مسرح الأوبرا، وفي تحليل صوت المطربة كتب المؤرخ الموسيقى فيكتور سحاب أن صوتها من حيث مساحته الصوتية يضم من التصنيفات الأوبرالية للصوت النسائي السوبرانو والميتزوسوبرانو، كما جاءت الإشارة، ولذا فهو صوت كبير، وقد قامت المطربة بأدائها أغنياتها العصرية بشكل تقليدي، لذا، فإن القصبجي قال عندما استمع إلى صوتها، وهي شابة صغيرة تسكن في حي

اللجامة "هذا صوت من الجنة"، أما السنباطي فقد ردد: "إن أسمهان هي المطربة العربية الوحيدة التي وصلت إلى مرتبة منافسة أم كلثوم، رغم قصر عمرها الفني"، وفي كتاب السبعة الكبار "لفيكتور سحاب" قال المايسترو سحاب أن "التعبير الإنساني يبقى أعظم ما في غناء أسمهان، وهو تعبير يكاد لا يستثني حالة من حالات المشاعر والأحاسيس الإنسانية" وقد أعطى سحاب على ذلك إشارة في أغنية "ليالي الأنس" لفريد الأطرش، حيث تنتقل بسرعة من مزاج إلى مزاج آخر، وفقا للحن والمعاني التي تعبر عنها، فمن "خيال ساري مع الأحلام، حيث تغني بشفافية وإشراق بالصوت إلى عبارة: "تفوت من غير ما تتهنى" حيث تضفي حسًا دراميًا على النهاوند، وذلك لا استعراضًا أو رضوخًا لإغراءات بل تميزًا كبيرًا فنيًا دالا على مزاج يظل شديد الوضوح في كل الحالات..

من خلال منطوق تاريخ أسمهان، يمكن أن نقول بكل بساطة، أن أغنية واحدة تكفي لتخليدها، فما الحال مع هذا العدد من الأغنيات التي أنشدتها في أفلامها، وأيضًا بعيدًا عن السينما، والحقيقة أن أبرز الملحنين، والأكثر موهبة في تلك الحقبة قد أحسوا بمساحة الموهبة التي يتعاملون معها، فكانوا على مستوى الموهبة، وكان فريد الأطرش، ثم محمد القصبجي، هما الأكثر عددًا في تلحين الأغنيات، كما جاء في قائمة أغنياتها التي ننقلها عن مواقع النت، خاصة الموسوعة الإلكترونية، ويكيبيديا التي وضعت ذلك في جدول..

الأغنية والسنة	المؤلف	الملحن	ملحوظة
– اسمع البلبل (**1933**)	بشارة الخوري	القصبجي	
– أعمل إيه عشان أنساك	يوسف بدروس	القصبجي	
– أقرطبة الغراء (**1940**)	ابن زيدون	السنباطي	
– امتى هتعرف (**1944**)	مأمون الشناوي	القصبجي	فيلم غرام وانتقام
– أنا اللى أستاهل (**1944**)	مأمون الشناوي	القصبجي	فيلم غرام وانتقام
– أنا أهوى (**1944**)	مأمون الشناوي	فريد الأطرش	فيلم غرام وانتقام
– انتصار الشباب (**1941**)	أحمد رامي	فريد الأطرش	
– ادف يابا (**1937**)	شعر قديم	فريد الأطرش	
– إيدي في إيدك (**1941**)	أحمد رامي	فريد الأطرش	فيلم انتصار الشباب
– أين الليالي (**1937**)	أحمد رامي	القصبجي	
– أيها النائم (**1944**)	أحمد رامي	السنباطي	فيلم غرام وانتقام
– حديث عينين	عبد العزيز سلام	مدحت عاصم	
– دخلت مرة في جنينة (**1940**)	يوسف بدروس	السنباطي	
– الدنيا في إيدي (**1940**)		فريد الأطرش	
		فريد الأطرش	
– رجعت لك يا حبيبي	أحمد رامي	فريد الأطرش	فيلم انتصار

– الشروق والغروب	محمود اسماعيل	زكريا أحمد	الشباب
– الشمس غابت أنوارها (1941)	أحمد رشدي	زكريا أحمد	
	بديع خيري	فريد الأطرش	
– عاهدني يا قلبي (1931)	أبو العلاء المعري	زكريا أحمد	
	علي شكري	القصبجي	
– عذابي في هواك (1938)	يوسف بدروس	القصبجي	
– عليك صلاة الله (1943)	أحمد رامي	فريد الأطرش	
	يوسف بدروس	القصبجي	فيلم انتصار الشباب
– غير مجدٍ في ملتي (1940)	يوسف بدروس	القصبجي	
– فرق ما بينا الزمان	أحمد رامي	فريد الأطرش	
– في يوم ما أشوفك	يوسف بدروس	فريد الأطرش	فيلم غرام وانتقام
– كان لي أمل	فاطمة العفيفة	القصبجي	
– كلمة يا نور العيد (1936)	أحمد شوقي	عبد الوهاب	
– كنت الأماني	بيرم التونسي	عبد الوهاب	فيلم يوم سعيد
– ليالي الانس (1944)	أحمد رامي	السنباطي	فيلم يوم سعيد
– ليالي البشر (1944)		فريد غصن	فيلم غرام وانتقام
– ليت للبراق	يوسف بدروس	فريد الأطرش	

- الليل	أحمد رامي	زكريا أحمد	
- مجنون ليلى (1940)	أحمد شوقي	القصبجي	
- محلاها عيشة الفلاح (1940)	حلمى الحكيم	فريد الأطرش	
- مواكب العز (1944)	أحمد جلال	مدحت عاصم	فيلم انتصار الشباب
- نار فؤادي (1932)	بيرم التونسي	فريد الأطرش	
- نويت أداري آلامي (1937)	يوسف بدروس	القصبجي	فيلم غرام وانتقام
- هديتك قلبي (1940)	أحمد فتحي	السنباطي	
- هل تيم البان (1942)		القصبجي	
- يا بدع الورد (1941)	أحمد رامي	فريد الأطرش	فيلم انتصار الشباب
- يا حبيبي تعالى الحقني (1940)			
- يا ديرتي (1944)			
- يا طيور (1940)			
- يا لعينيك (1943)			
- يا للي في حبك			
- يا للي هواك (1944)			

لقد أخذنا في عمل قائمة كاملة، فلم نستطع، وإذا كانت أسماء الأغنيات موجودة، فالتواريخ وأسماء الملحنين والمؤلفين لبعض الأعمال غير موجودة، وقد عملنا توافقًا بين القائمة المنشورة في موسوعة الويكيبديا، وتلك التي أعدها منعم أبو طالب، وقوائم أخرى، وأصابتنا الحيرة في كيفية الترتيب، فلا شك أن عدم توافر تواريخ الغناء، سوف يعوق الترتيب ويجعل هذه الأغنيات خارج دائرة التصنيف، كما أنه من المتعذر وضع أغنيات كل فيلم وراء بعضها، لأن هناك أكثر من نصف الأغاني لم نسمعها في أفلامها الثلاثة، وقد اخترنا ترتيب الأغنيات في هذه القائمة هجائيا، لسهولة الرجوع إليها، رغم ما بها من عيوب، فمن الأفضل بالطبع هو الترتيب حسب الهجاء، كما أن الطريقة العشوائية للويكيبديا، قد جعلت أغنياتها السينمائية، وهي الأشهر، موجودة وراء بعضها..

وكما لاحظنا فإن أحمد رامي هو أكثر من كتب الأغنيات، وأن اسم داوود حسني غير موجود في قوائم الملحنين، فهل اكتفى باكتشافها دون أن يلحن لها، كما أن أسمهان قد شدت بعدد لا بأس به من القصائد العربية القديمة والحديثة منها قصائد لأبي العلاء المعري، وابن زيدون، وأحمد شوقي، وأحمد رامي، وبشارة الخوري..

في السينما

لا شك أن هناك تشابهًا ملحوظًا بين السيرة الخاصة لكل من الفنان فريد الأطرش وأخته أسمهان، وبين ملامح وظروف بطلي فيلم "انتصار الشباب" إخراج أحمد بدرخان عام **1941**، الذي كتبه عمر جميعي، فالأخوان قد جاءا في بداية الفيلم من الشام إلى مصر، ويصلان إلى الإسكندرية في باخرة،

ويتحدث الأخ وحيد إلى شقيقته نادية عن مصر ويقول لها وهما اللذان عانيا كثيرًا أثناء سفرهما، حيث تبدو نادية متوجسة من المستقبل، وتقول لأخيها: كفاية الغربة. فيردد لها: الغربة، في مصر دا وطن كريم لكل شرقي ضاقت عليه أوطانه"، وما يلبث الاثنان أن يتعرضا للمزيد من المتاعب، بداية من ابن البلد، الذي أفسح المكان لنادية في القطار كي تجلس إلى جواره، بينما يرفض إتاحة مثل هذه الفرصة لأخيها، أو لأي امرأة أخرى..

وقد عانى الأخوان من ظروف المعيشة والفاقة، سواء في الواقع أو الفيلم، فهما يسكنان في بيت فقير للغاية، يسكنه ثلاثي لا يستطيع دفع الأجرة، وصاحبة البيت سليطة اللسان تتعامل بقسوة ملحوظة مع من لم يدفع الإيجار المتأخر، كما أن زوجة المعلم العجوز تشعر بالغيرة من نادية،

وتوجه إليها ألفاظًا جارحة، أما صاحب الصالة فإنه لا يقبل لوحيد أن يغني، ولكنه يطلب وجود المغنية كشرط لقبول تشغيل بقية المجموعة التي تتكون من وحيد، وجوز ولوز وبندق، ما يعني أن الصعوبات التي واجهت الثنائي قبل الوصول إلى الميناء، لا تقل عما عرضه الفيلم من أحداث، وسرعان ما نفهم أن الاثنين جاءا بحثا عن فرصة في عالم الغناء، وبمجرد وصول الاثنين إلى غرفتهما، حتى يغني كل منهما أغنية أم موالًا، فينفرد وحيد بالغناء بصوت يسمعه الناس في الحارة "صون الخدور في شبابك عن دموع العين كل الأمور تهتدي".

والأخ يقول لأخته التي تتكلم بسخرية أن الحياة محتاجة إلى جهاد.. وخصوصًا في عالم الغناء، وبعد أن ينتهي وحيد من وصلنه، وبعد أن يخرج من الغرفة، تأخذ نادية دورها في ترديد أغنية يسمعها أيضًا أبناء الحارة، وتغني قصيدة شعرية "كانت الدنيا نصيرًا"..

أي أن عمر جميعي في هذه الفترة المبكرة من حياة أسرة الأطرش، وفي تجربتهما السينمائية الأولى، لم يجد أفضل من أن يقتبس أجزاءً من قصة حياة الأسرة، منذ النزول إلى أرض مصر حتى حقق الثنائي الغنائي النجومية، ورغم وجود قصص حب جانبية بين نادية وشاب ثري من ناحية، وبين وحيد وفتاة من وسط اجتماعي راقي، فإن الموضوع في الأساس هو صعود الثنائي الغنائي، لذا امتلأت أحداث الفيلم البسيطة بالأغنيات والأوبرات الصغيرة، والثنائيات (الدويتو)..

هذا فيلم غنائي في المقام الأول، كان الناس يذهبون لمشاهدة نجومه، خاصة المطربين على شاشة كبيرة وهم يغنون.. وقد تشابهت قصص هذه الأفلام، حيث تدور حول صعود المطربين الفقراء إلى الأضواء، والشهرة، والنجاح، من خلال قصص حب شائكة سرعان ما يتم حل كافة المشاكل..

ولعل أحمد بدرخان هو أول من افتتح مسألة الثنائيات السينمائية الغنائية، قبل وقوف أم كلثوم أمام إبراهيم حمودة في فيلم "عايدة"، وعبد الوهاب أمام رجاء عبده في "ممنوع الحب"، ولذا فهناك أكثر من دويتو غنائي على المسرح يؤديه كل من فريد وأخته، وقد استهلكت هذه الغنائيات الكثير من وقت الفيلم، الذي يحكي لنا قصص بسيطة، سرعان ما يتم حلها، فالشاب الثري محيي، يقع في غرام المطربة الجديدة من أول نظرة، ويشاهدها في الملهى الليلي الذي تغني فيه، فيطلب من محمود القواد في المكان أن يستدعي نادية كي تأتي للسهر معه، ويصدم بشدة حين ترفض الحضور، نادية تبلغ محمود أنها ترفض باقات الورد، وتبدو جادة، ما يزيد إعجاب محيي بها، ويصر أن يقابلها بأي ثمن، ويدبر لإقامة "حفل" كي تغني فيه..

الفيلم إذن، حالة من الغناء المتواصل، تتخلله مواقف درامية، يتم خلالها تغيير محيي من نزقه، ولا تنوي أسمهان أن تغني في الحفل الذي دبره محيي، لكن بدرخان يبتدع أغنية تدور في ديكور نيلي، حيث تردد أسمهان

"ليه نشتكي أرضنا والنيل ساقيها" في أغنية (دويتو) جديد بين الأخوين هي "ايدى في إيدك والمولى راعيها"..

وبهذا يكون الفيلم قد أحدث التوازن الذي يطلبه المشاهد، أغنية لفريد، تليها أغنية تؤديها أسمهان، أو نادية، وهناك أكثر من أربع دويتوهات..

ومثلما تزوجت أسمهان وسط مرحلتها الأولى، فإنها في الفيلم تتزوج من محيي، ويكون الزواج ضد رغبة الأم التي لا تريد لابنها الزواج من مغنية، بينما يفترض الفيلم أن هناك قصة حب ستنمو بين وحيد، وشقيقة المخرج الذي يعمل معه، وفيما بعد ستعترض الأم على زواج ابنها من امرأة احترف ابنها الغناء.

وقد عاش وحيد في الفيلم بين صعود وهبوط، وبعد زواج أخته، يتم رفته من العمل، فيحاول العودة إلى غرفته القديمة ويعاني من العوز مرة أخرى..

هذا النوع من الأفلام معروف أيضا باسم "الكوميديا الموسيقية"، فمن المهم أن تمتزج الاستعراضات والغناء بمواقف، وأغنيات خفيفة مثل ديالوج "جلا جلا" الذي يؤديه كل من فؤاد شفيق وحسن فايق، وحسن كامل، ربما بهدف التنوع..

إلا أن المخرج سرعان ما يقدم لفريد فرصة جديدة، ويدفعه للغناء في الإذاعة، وتعود الأحوال إلى التحسن، ومن أجل أن تزداد مساحة الفيلم زمنيًا، تتعقد الأمور في قصة الحب التي يعيشها فريد، قبل أن يحدث الوئام، ويتزوج وحيد من سونة ويقوم باستئجار شقة في الزمالك، ويصبح في إمكانه إقامة استعراض كبير من تلحينه وغنائه، ويصبح من الأهمية إيجاد مسرح للغناء فيه..

هناك فارق ملحوظ بين الاثنين الذين وصلا إلى مصر في بداية الفيلم، ونفس الثنائي الذي غنى في الأوبريت الغنائي، الذي يخلو تقريبًا من الاستعراض، وعليه تترل كلمة "النهاية" المألوفة، فليس من المهم هنا أن تنتهي قصة كل منهما بشكل سعيد، لكن المهم، أن الطموح يتحقق معه النجاح بما يعني أن القصة في المقام الأول تخص هذين الأخوين الشابين..

الفيلم الثاني والأخير "غرام وانتقام" ليوسف وهبي عام **1944**، هو أيضًا فيلم جدلي مثل صاحبته، فقد ماتت في حادثة كارثية قبل أن تنتهي من تمثيله بأسبوعين وجاء الموت القدري كى يزيد من شغف الناس برؤيته، ليس فقط في عرضه الأول في **10** ديسمبر **1944** ولكن أيضًا في أنه وضع مؤلفه ومخرجه يوسف وهبي في موقف صعب، فاضطر إلى أن يغير من نهاية النهاية السعيدة أو تكون النهاية السينمائية مأساوية، تنتهي بموت المطربة، ويعرض المخرج صورة للجثمان الحقيقي ملفوفًا في اللون الأبيض، ما يزيد من الإحساس الشديد بالأسى والفقدان..

النهاية السعيدة، هي التي كانت مكتوبة للفيلم، أسوة بالمصدر الأصلي الذي رجع إليه يوسف وهبي دون أن يذكر ذلك، إنها مسرحية "السيد" لكورني، التي تحاول فيها فتاة الانتقام من الفارس الذي قتل أباها أثناء مبارزة، وتدخل في حياته، وتبدأ في الإعداد لقتله، إلا أنها عندما تعرف بمصرعه على يد خصمه الذي دفعت به إليه، أخذت تبكي حبها المقتول، لكنها تكتشف أنه لم يمت، وأن الأمر كله كان بمثابة امتحان لمشاعرها..

إذن، كان على المطربة سهير التي قررت الانتقام من الموسيقار الذي قتل زوجها أن تعرف كيف كان هذا القتيل زئر نساء، لعب بمشاعر بنات كثيرات، منهن شقيقة القاتل وعليه تنتهي الأحداث بشكل سعيد..

إنه الفيلم القدري بكل ما به من أحداث، هو فيلم غنائي حزين، به الغناء، لكنه يخلو من الاستعراض والفكاهة الموجودة في هذه الآونة، والجدير بالذكر أن المخرج لم يكن يميل إلى صناعة هذا النوع من الأفلام..

كان عليه أن يجعل من جمال حمدي موسيقارًا صار مجنونًا، بعد أن جاءه نبأ مصرع المرأة التي أحبته، والتي جعلته يعترف أنه قتل زوجها السابق، الذي خدع أخته، وهي الفتاة الساذجة التي أتى بها من الريف، كي تتولى رعايته في المدينة، هذا الموسيقار كما يقدمه الطبيب النفسي إلى

مجموعة من الصحفيين، هو يمسك بكمانه، يبدو كأنه منفصل تمامًا عن الواقع، يؤلف المقطوعات الموسيقية على شرف حبيبته الراحلة..

وإذا كان فيلم "انتصار الشباب" به مس من المرحلة الأولى من حياة أسمهان الفنية، فإنه الفيلم الثاني يكاد يمس الجزء الأخير من حياتها، حتى رحيلها، فنحن هنا أمام مطربة جميلة شهيرة متحققة، في حياتها أكثر من رجل، لكنها أكثر سذاجة، وهي تقع في الحب، ثم تموت في حادث مأساوي، ونحن نراها المطربة التي تفتن من حولها، وتتغنى لهم..

الرجل الأول الذي أحبته هو وحيد عزت، الذي يلعب بمشاعر النساء، ويقبل على الزواج منها، وقد ترك خلفه قصص حب قديمة مفتوحة، لا تعرف عنها شيئًا، هو يتصرف دون إحساس بالمسئولية، يخسر المبالغ الكبيرة فوق موائد القمار، وقبل أن يتم الزفاف يأتي خبر مصرع وحيد عزت، لقد أطلق عليه أحدهم الرصاص..

وبعد أن يتم القبض على جمال حمدي، ويطلق سراحه لعدم كفاية الأدلة، تضطر سهير أن تتدخل، أن ترمي بشباكها حوله، مثلما فعلت بطلة مسرحية "السيد"، وأن توقع بها عن طريق العواطف طالما أنه أفلت من يدي العدالة، إنها تستخدم سلاح الأنوثة، وفي الحفل التنكري الذي يحضره القاتل، تبدأ في التعرف عليه، إنه عازف الكمان البارع في الحفل، وهي المطربة، القيثارة والمغنية، ويتعارفان عن قرب، هو لا يدري ماذا تنوي له، وهي تتعامل مع الأمر ببطء ملحوظ حتى تستوي ثمرة الحب،

فتأخذه معها إلى الشام وفلسطين ولبنان، التي هي أيضًا جزءٌ من حياتها في الواقع، ويقيمان في الفندق نفسه، وتحيك من حوله الحكايات فتدعي المرض، كي يلين قلبه إليها أكثر، وهنا تدخل شخصية شامية يجسدها بشارة واكيم الذي ينبهه حين تغني في إحدى الحفلات، "امتى حتعرف امتى إني باحبك إنت" أنه هو المقصود، ما يغير من حذر الموسيقار الشاب، وتتأكد سهير أنه قد وقع في غرامها..

في القاهرة يتم الاتفاق مع صفوت ابن عم زوجها القتيل، على أن تدفع جمال إلى الاعتراف، فيقوم هذا الأخير بإبلاغ الشرطة، ويحكي لها قصة وحيد مع أخته، لقد سلبها شرفها، وهجرها إلى المطربة، وعندما اعترفت له أخته بما حدث، صار هناك نقاش ساخن بين الصديقين انتهى برصاصة طائشة قتلت وحيد، في تلك اللحظة دخلت الشرطة وتم القبض على القاتل..

نقاط التشابه بين الفيلم والمسرحية الفرنسية أن الأحداث الجسام، فجرت في داخل المرأة أنها عاشقة، فانتابها الهلع وهي ترى جمال بين رجال الشرطة، وتصرخ باكية مؤكدة له أنها لم تستدع الشرطة، ولم تخدعه، ويُساق إلى المحكمة، وتشهد إلى جانبه، فيتأكد أنها تحبه، لكن القدر..

القدر يطلب أسمهان إلى جواره، وتتغير نهاية الفيلم.. ماتت سهير، كما ماتت أسمهان، امرأة جميلة، عاشقة، مليئة بالقلق، أما هو فقد أصابه

الجنون، وظل في مستشفى الأمراض العقلية لفترة غير قصيرة، يؤلف ألحان الحب، ألحان لم تتم..

وفي إطار الحديث عن الفن في حياة أسمهان، فإننا كان يجب تنزيل كلمات أغنياها، لكن هذا ليس دورنا بالمرة، وإن كان يجب أن نقدم فعلًا نشازًا، فمن الأهمية أن نقدم هنا كلمات استعراض "مواكب العز" التي غنتها أسمهان وسط خلفيات استعراضية لصور تاريخية في فيلم "غرام وانتقام" حيث أن هذا الاستعراض تم استقطاعه تمامًا من نسخة الفيلم لسنوات طويلة بعد يوليو **1952**، باعتباره تمجيد لأسرة محمد علي وأمجادها، ولم يعد هذا الاستعراض موجودًا، أو متوفرًا، إلا بعد أن تم بيع أصول الكثير من الأفلام إلى شركة **art**، فصارت قنواها هي الوحيدة التي تذيع الاستعراض ضمن الفيلم، والغريب أن النسخ المملوكة التي تبث من قنوات أخرى ومنها روتانا، تخلو تمامًا من هذا الاستعراض، ونحن نذكر كلمات الاستعراض، كنوع من إزاحة الظلم عما لحق بالاستعراض، الذي قد ينساه البعض "أنا بنت النيل" وهو من كلمات أحمد رامي، وألحان رياض السنباطي..

انا بنـــــت النيـــل أخت الهرم   قد صحبت الدهر منذ القدم
منهلي عذب وأرضي جنة   تتناهىفي ظـــلال النــــعم

***

مواكب العز مرت علىّ عبر الزمن
فكان أنضر عصر ملأت منه عيوني
عصر زها وتباها هي بالأسرة العلوية
المــجد فيــه تـــناهى إلي أب المدنية

***

حيوا معي ذكرى الزعيم الأول

حيــوا معي ذكرى محمد علي

***

(**كورس**)

تحيــــــا ذكراه يـــــا نعم ما أسداه

بالفتح والعمران

***

ثم هنــــأني الــــذي جمــلني وكساني حلة العيش النضير
واحتوى ملكي على أبنائه يتسامون كبيرًا عن كبير

حيّوا معي ذكرى العزيز الأكمل

نـــــادوا لإسماعيل نور المجدلي

***

(**كورس**)

تحيـــــا ذكراه يـــا نعم ما أسداه

بالعز والسلطان

***

وعلا قدري وذاعت شهرتي في ربوع الأرض بالذكر الجميل

وشربت العلم من منبـــعه صافي المورد عزب السلسبيل

لما سقت يمين الفؤاد منهلي حيّوا معي ذكرى المليك الأفضل

***

(**كورس**)

تحيـــــا ذكراه يـــا نعم ما أسداه

بالعلم والعرفان

***

واعتلى عرشي الذي أخلص لي
واسى جرحي وواسى البائسين
وغدا روحي بما أرسله
في شباب الملك من عزم متين

***

حيّوا معي عهد الربيع المقبل حيّوا معي فاروق كنز الأمل

***

(كورس)

تحيـــــا ذكراه يـــــا نعم ما أسداه

للبر والإحسان

***

يا مليك العصر يا حليف النصر
عاش لوادي النيل وأقبل حبه
خالصا للعرش موفور الولاء
وامض للعلياء سباق الخطى
نحن من حولك للتاج الفداء

***

اليوم الأخير في حياة أسمهان

لا أحد يعرف القدر، أو يتكهنه، أو ينطق به قبل حدوثه.. لكن البعض قد يحسه في أعماقه إحساسًا خفيًا يتباين من شخص لآخر، حسب قوة حدسه، أو ما يسمى بالحاسة السادسة، وقد قيل أن هناك عرَّافة تنبأت بنهاية مأساوية لأسمهان، لكن الإنسان يسير نحو مستقبله، حتى وإن كان يعرفه، وكأنه مصاب بالتخدر، يرى ويتحسس، لكنه أبدًا لم يستطع أبدًا التخلي عن الصراط الممتد أمامه..

وإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للمصير المنتظر في المستقبل، فإن الغموض كثيرا ما يكتنف أحداث الماضي، وتكثر التكهنات من حولها، وخاصة بالنسبة للأحداث الجدلية، المرتبطة بالقدر، وبالمأساوية، وبالشخصيات التي سارت في نفس المسار الذي عاشته بكل تناقضاته هذه المرأة صغيرة السن منذ ميلادها، وحتى وفاتها، لذا كثر الجدل، والتكهنات حول حياتها، ومماتها، وإذا كانت أسمهان قد روت الكثير للتابعي، الذي يمكن أن نعتبره كاتب سيرة حياتها، فإنها لا شك لم ترو الكثير الذي انطوى مع الزمن، دون أن يعرفه أحد..

وسوف تبقى الشخصيات من طراز أسمهان، ذوات النهايات المأساوية الغمضة بمثابة لغز حقيقي لن ينفتح أبواب أسراره قط، فقد مضى أكثر من سبعين عامًا، ومع كل كتابة جديدة تزداد التكهنات، وفي الحياة هناك أسماء بعينها، خاصة في عالم الفن، لا تزال ظروف مصرعها غامضة دون العثور على تفسير مقنع، ومنها المخرج نيازي مصطفى، والممثلة سعاد حسني، وفي التاريخ أسماء متعددة وعلى رأسهم الرئيس الأمريكي جورج كيندي..

يوما **13** يوليو، و**14** يوليو عام **1944**، هما من أيام الحياة، التي صار أحدهما مذكورًا كثيرًا في التاريخ، فقد ماتت في حادث طريق، في سيارة خاصة أسمهان، وصديقتها ماري قلادة، ونجا السائق الذي هرب، واختفى في ظروف غامضة، ما زاد الأحداث مأساوية وغموضًا، أي أن اليوم الأخير في حياة أسمهان يمتد من منتصف نهار اليوم الثالث عشر من يوليو، وهو يوم حار بالتأكيد، إلى أن رحلت في النصف الثانى من نهار **14** يوليو، ولا شك أن هناك أشخاصًا كثيرين قابلتهم المطربة، وكان هناك وداع ما بينها وبينهم دون تبادل أي كلمات مؤثرة، وأذكر أنني شاهدت يوسف وهبي في برنامج تلفزيوني يتكلم عن لحظات وداع غير مقصودة في المرة الأخيرة، الذي قابل فيها أسمهان، فتحدث إلى ليلى رستم قائلا:

"ربنا سبحانه وتعالى أراد أن تفارق العالم في الصورة الجميلة تلك الزهرة العابقة المعطرة فلم يشأ أن تعيش حتى تكبر في السن، ودائمًا

الموت يختطف ناس في عز الشباب كأنه يريد أن يحتفظ بهذا الجمال إلى الأبد..

السيدة أسمهان من الفنانات اللائي عملن معي، وكانت على خلاف ما يشاع عنها، فكانت تواظب مواظبة تامة على الحضور بروفات العمل، وعلى حفظ أدوارها وعلى الاهتمام الكبير لكن ما حدث حدث، إنه القدر، ويُخيَّل لي أنني شعرت بهذا القدر في يوم من الأيام، يوم الخميس، تقدمت مني، والجمعة يوم أجازة، لها صديقتان دعوتاها للذهاب إلى رأس البر لقضاء يومين في عشة صغيرة أيام الخميس والجمعة والسبت، وقد اعترضت على السفر، دون أن أعرف السبب، لم تكن رأس البر بالمكان المريح والرفاهية التي اعتادت عليها، طلبت منها الذهاب إلى الإسكندرية، ثم رضت.. الساعة السادسة صباحا أستأذنت زوجتي وطلبت أن أذهب كى ألح على أسمهان بعدم السفر، وذهبت إلى منزلها، وظللت ألح إلحاحًا شديدًا بلا معنى، وبدأت أشوه لها صورة رأس البر، وأنها ستكون متعبة، وجاءت الصديقتان كأنهما ملاكا الموت، الغريب أن زميلتيها ركبتا سيارة أخرى، وكانت معها صديقة أخرى، والسيارة بعيدة عن أي شبهات، ملك لاستوديو مصر"..

وقد اعترف وهبي أن الفيلم المكتوب كانت نهايته سعيدة، وكان هناك أسبوعان لانتهاء التصوير، فقام بتغيير النهاية، وأظهر جثتها الحقيقية في نهاية الفيلم..

وقائع هذا اليوم الأخير تحدث عنه كثيرون كأنهم شاهدوا وقائعه سواء في المقالات والدراسات، أو في البرامج الإذاعية أو التلفزيون، لكن لم يشهد أحد منهم الوقائع، سواء من عاشوا يومي الخميس والجمعة، وخاصة بالنسبة لأمثال الذين ولدوا بعد هذا الحادث بسنوات..

ورغم هذا فأكثر القصاصات التي كتبت عن يوم وظروف "مصرع" أسمهان، وجميعهم لم يحضروا الحدث، ولم يشاهدوه، وإن كانت الصحف قد نشرت الحادث، لكن لا شك أن هناك تعتيمًا وجد هوى لدى صناع التكهنات، وأطرف ما في الأمر أن أكثرهم كتب عن اليوم الأخير في حياة أسمهان كأنه كان شاهد عيان، ولا داعي لذكر الأسماء فجميعهم أصحاب أقلام، وما أطرف أن يكتب الكاتب من خلال ما تنشره الصحف لأن الصحفي الذي كتب عن الحادث، لم يشهد تفاصيله..

لذا، فإن الكتابة في هذا الأمر مرتبطة بالتكهن، وتعالوا مثلا أن أحدهم، قال بعد قراءاته لجريدة الفجر، وهي جريدة حديثة، وذكر أن أسمهان لم تمت غرقًا وإنما ماتت مقتولة، وقد استوقف المحقق شهادات أهالي القرية التي غرقت فيها سيارة أسمهان بأنهم وجدوا رصاصة في رأسها عند انتشال الجثمان هي وسكرتيرتها، لكن الكاتب لم يشر هل كانت هناك أيضًا رصاصة في رأس ماري قلادة، وذهب الخيال مع من كتب إلى مدى بعيد لأن السائق سرعان ما اختفى، و"سجل المحقق رفض الفنان فريد الأطرش مطالبة البعض بتشريح جثة أسمهان، وقيل أن ذلك

بأوامر عليا، لم يفصح عنها فريد في حينها، ولا بعد ذلك وقد رجع الكاتب إلى العديد من التكهنات، منها تغيير السائق الذي كان من المفترض أن يصحبهما وتبكيره عن موعده، بثلاث ساعات، وقيل أنه قبل وصول عربة أسمهان بساعة، تم قطع الطريق لعمل إصلاحات مفاجئة مما يجبر السائق على المرور بجانب الطريق الذي يدفعه إلى الترعة، وأنه في نفس لحظة وقوع السيارة تلقت أسمهان وسكرتيرتها رصاصة في الدماغ، وماتت قبل السقوط..

ولا أحب أن أشير إلى من أطلق على نفسه اسم المؤرخ الفني.. وهي تسمية عامة غير محددة، دون الإشارة إلى أي نوع من "التاريخ" الفني يقصد، وهو في تأريخه يحكي الحدث البسيط بكل إسهاب وتفاصيل على طريقة الصحفي محمد التابعي، وذلك من أجل زيادة النصوص غموضًا وأهمية، ويمكن أن نفعل الشيء نفسه على طريقته بأن نكتب عن اليوم الأخير في حياة أسمهان، كأننا عشناه معها بكل التفاصيل، وهذا يتنافى تمامًا مع "التأريخ" الذي يجب عدم الأخذ به، باعتبار أن أغلب ما يُكتب في هذا الشأن هو نوع من الكتابة المرنة، التي يمكن تصديقها وتأويلها، لكن ماذا نقول، والقارئ العادي يميل إلى هذا النوع من الكتابات بدافع التسلية..

مختصر الكتابة أن أسمهان ماتت في حادث سيارة، كانت متجهة بها، ومعها ماري قلادة إلى مصيف رأس البر، وأنه قبل الوصول، مرت السيارة في مكان تحت الإصلاح، وأن السائق لم يقدر جسامة المرور فوق

المعبر، فكان ينطلق بسرعة أكبر من المقدر لها، وأن السيارة مالت فغرقت، والسائق تمكَّن من الهروب، ولم يحاول، أو ربما حاول، إنقاذ المرأتين، فماتتا غرقًا..

أسمهان ولدت فوق البحر، ومياهه، وماتت في ترعة، وقد توقف الكثير ممن كتبوا عنها عند هذه النقطة القدرية، ونسجوا حولها المزيد من الخرافات..

الفهرس